أدونيس

شهوة تتقدم في خرائط المادة

شعر

دار توبقال للنشر

مكتبة الأدب المغربي

شهوة تتقدم
في خرائط المادة

أدونيس

شهوة تتقدم في خرائط المادة

شعر

دار توبقال للنشر
عمارة معهد التسيير التطبيقي. ساحة محطة القطار
بلفدير. الدار البيضاء 05 ـ المغرب
الهاتف : 24.06.05/42

تمَّ نشرُ هذَا الكِتاب ضِمْن سِلسِلة
نصوص أدبية

الطبعة الأولى 1987
جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع القانوني : 1987/644

شَهْوةٌ تَتَقدَّمُ فِي خَرائِطِ المَادَّةِ

1

حَدَثَ هَكَذَا ـ
سَكَاكِينُ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
الجَسَدُ يَرْكُضُ إِلَى الأَمَامِ، والرُّوحُ تَتَجَرْجَرُ وَرَاءَهُ.

حَدَثَ هَكَذَا ـ
مَطَارِقُ حَدَّادين يَعْمَلُونَ دَاخِلَ الجُمْجُمَة /
خَرسٌ وانْقِرَاضُ سُلاَلاَت، ـ
الكِتَابَةُ حمضٌ إِيدْيُولُوجِيّ
وَالكُتُبُ زَيزفُونِيَّاتْ.

2

أَيْنَ سَأَحْفَظُ أَعْيَادِي التِي لَمْ تَمُتْ بَعْد ؟
كَيْفَ أُحَرِّرُ أَجْنِحَتِي التِي تَنْتَحِبُ فِي
أَقْفَاصِ اللُّغَةِ ؟ وَكَيْفَ أَسْكُنُ
فِي ذَاكِرَتِي، وَهَا هِيَ خَلِيجٌ مِنَ
الأُنْقَاضِ العَائِمَة ؟

هَلْ سَيَنْمُو بَيْنَ كَتِفيَّ حَجَرٌ أَوْ جِذْرُ خَشْخَاشٍ ؟ هَل الحَيَوَانَاتُ السَّجِينَةُ فِيَّ، سَتَعْرِفُ أَخِيراً طَرِيقَ الْهُرُوب ؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَدْخُلَ فِي سُبَاتٍ وأَنْ أَخُونَ أَعْضَائِي ؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَصْنَعَ مِنَ الرَّمْلِ سُدادَاتٍ لِرِئَتَيَّ، وَأَنْ أَسْتَلْقِيَ حَجَراً أَسْوَدَ فِي أَبَدِيَّةِ الطَّاعَةِ ؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَدْهن جَسَدِي بِزَيْتِ الآلَة، وأَنْ أَمْلأَ حُنْجُرَتِي بِنَعَمْ نَعَمْ، لاَ لاَ ؟

كلاَّ، لَيْسَ لِي وَطَنٌ
إلاَّ فِي هَذِهِ الغُيُوم التِي تَتَبَخَّر مِنْ بُحَيْرَاتِ الشِّعْرِ.

آوِينِي، احْرُسِينِي أَيَّتُهَا الضَّاد الضَّاد ـ يَا لُغَتِي، يَا بَيْتِي
أُدَلِّيكِ تَمِيمَةً فِي عُنُقِ هَذَا الوَقْتِ، وَأُفَجِّر بِاسْمِكِ أَهْوَائِي
لاَ لأَنَّكِ الهَيْكَلُ، لاَ لأَنَّكِ الأَبُ أَوِ الأُمُّ
بَلْ لأَنَّنِي أَحْلُمُ أَنْ أَضْحَكَ وَأَبْكِيَ فِيكِ

(أ)

(سَمَّى اللُّغَةَ امْرَأَةً
وَالكِتَابَةَ حُبّاً،
وَأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ أَصْدَافِ
المُحِيطَاتِ فِي كَلِمَاتِ الهُدْهُدِ ، -
[وَالإِشَارَةُ هُنَا إِلَى شَيْءٍ آخَرَ
غَيْرِ بِلْقِيس وَغَيْرِ سُلَيْمَان]).

أَنْ أُتَرْجِمَ أَحْشَائِي
أَنْ أَلْتَصِقَ بِكِ وَأَرْتَعِشَ وَتَصْطَفِقَ أَنْحَائِي
كَمِثْلِ نَوَافِذَ بَيْنَ يَدَيْ رِيحٍ خَرَجَتْ لِتَوِّهَا مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، ـ

هَكَذَا أَتَحَوَّلُ فِيكِ إِلَى نفَسٍ يَهْبِطُ مِنْ فَمِ السَّمَاء
وَيَنْفُخُ فِي فَرْجِ الأَرْضِ،
هَكَذَا أَحْضُنُكِ وَأَقُولُ ـ مِنْ جَدِيدٍ
أَنْتِ الجَسَدُ الذِي يُسَمَّى الغَدَ
وَعَلَى هَذَا الجَسَدِ يُرْمَى نَردُ التَّارِيخ.

3

مِنْ أَجْلِ أَنْ أَخْلقَ مِرْآةً تَجْدُر أَنْ تَنْتَسِبَ إِلَيَّ وَأَنْ أَتَمرأى فِيهَا،
مِنْ أَجْلِ أَنْ أَبْتَكِرَ فَرَاغاً يَتَّسِعُ لأَهْوَالِي،
رُبَّمَا فَكَّرْتُ أَنْ أَلْبسَ مِعْطَفاً بِنِصْفِ ذِرَاعٍ
وأَنْ أَمْشِيَ بِقَدَمٍ نصْف حَافِيَة.
رُبَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَشُقَّ شَرَيَانَ غَيْمَةٍ لِكَيْ أَرْوِيَ عَطَشِي،
رُبَّمَا تَمْتَمْتُ : الوَطَن ـ وَاكْتَفَيْتُ بِأَنْ أَرْوِيَ تَارِيخَ دَرْوِيشٍ
يُشْرِفُ عَلَى المَوْتِ كَاسِياً قَبْرَهُ بِصَوْتِي،

أَوْ رُبَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَقْتَلِعَ بُرْجَ إِيفِلَ وَأَزْرَعَ مَكَانَهُ شَجَرَةَ يَاسَمِينٍ شَامِيٍّ،
وَرُبَّمَا أَرْتَأَيْتُ أَنْ أَدْعُو مِنْ جَدِيدٍ آدَم لِكَيْ يَبْنِي لِحُبِّهِ بَيْتاً عَلَى الأَرْض
وَيَتَعَرَّف عَلَى أَبْنَائِهِ، ـ

إِنَّهَا الشَّمْسُ تَمْشُطُ رَأْسَ الغُرُوبِ، وَثَمَّةَ خَمَّارَاتٌ تَصْعَدُ فِي بَارِيسَ صُعُود
العَذْرَاءِ، ـ

أَعْقِدُ جَلْسَةً مَعَ مَلاَئِكَةِ الإِسْعَافِ العَضَلِيّ، ـ
أَتَشَبَّهُ بِالمَاءِ وَأَنْسَكِبُ فِي جُرْنِ أَحْزَانِي
أَوْ
أَتَشَبَّهُ بِالأُفْقِ وَأَصْعَدُ إِلَى ذِرْوَةِ رَغَبَاتِي.

أعْرِفُ ـ نَمُوتُ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَنُولَدُ مِرَاراً، وَلَيْسَ المَوْتُ صَالِحاً
إلاَّ لِكَيْ نَعِيشَهُ،
أَعْرِفُ ـ الغَيْبُ هَذِهِ الوَرْدَةُ
الغَيْبُ هَذِهِ المَرْأَةُ
وَالْوَجْهُ نَفْسُهُ قَفَا السَّمَاء.

أَعْرِفُ ـ غَيْمَةً غَيْمَةً
سَتَصْعَدُ سَمَاوَاتِي مِنْ جَنَّاتِ الأَرْضِ،
وأَهْلاً بِالتَّارِيخِ وَهَبَائِه :
كَيْفَ يَيْأَسُ الزَّائِلُ وَطَرِيقُهُ الرِّيحُ ؟

4

لَمْ يَكُنْ وَارِداً أَنْ أُقَابِلَ رِيشَار قَلْبَ الأَسَد، أَوْ لوِيسَ الرَّابِعَ عَشَرْ،
أَوْ حَتَّى نَابُلْيُونْ،
هَكَذَا وَجَدْتُنِي حُرّاً
أَلْبِسُ الضَّبَابَ، وَأَسْتَمْتِعُ بِرُؤيَةِ كِلاَبٍ تَفْتَرِشُ نُهُودَ النِّسَاءْ.
لَكِنْ، لاَ أَذْكُرُ أَنَّنِي لَمَحْتُ نَجْمَةً وَاحِدَةً تَرْقُصُ أَوْ تَقْرَأُ أَوْ تَمْشِي
كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ النُّجُومُ عَادَةً فِي أَيَّامِ طُفُولَتِي،
كُنْتُ مُضْطَرّاً أَنْ أَتَخَيَّلَ نُجُومَ قَصَّابِين وَأَنْ أَهْتَدِي بِهَا،
فِيمَا أُطُوفُ الشَّوَارِع، وَأَسْمَعُ أَنِينَ البَشَرِ يَهْدِرُ
حَوْلِ السِّين، وَلاَ مَصَبَّ لَهُ.

5

إلَى الْمَقْهَى جَاءَ - (الدُّومَاغُو، أَظنّ)،
جَاءَتْ مَعَهُ كَنِيسَةُ السّان - جِيرْمَانْ
جَاءَتْ سَمَاءٌ بِعَمُودٍ فِقَرِيٍّ مَشْلُولٍ
جَاءَ جَانْ جِينِيه يُقْنِعهُ أَنْ يُصَالِحِ اللهَ لِسَبَبٍ لَمْ يُقْنِعهُ :
(أَنْ يَكْتَشِفَ جَحِيمَ الجَنَّة)
جَاءَتْ أَرْضٌ لاَ تُرِيدُ أَنْ تَرَى السَّمَاءَ
جَاءَ مُشَعْبِذُونَ يَتَسَلَّقُونَ النُّجُومَ

جَاءَتْ أَصْواتٌ مَلأَى بِقِرَاءَاتِ
الغَيْبِ فِي العَالَمِ
الثَّالِثِ العَرَبِي، -

(ب)

(في أُورْلِي،
يَبْدو العَالَمُ الثَّالِثُ فِيلاً أعْرَجَ
يَهْبِطُ مِنْ مِظَلَّةٍ تَبُثّ مَا يُشْبِهُ
هَذَا الكَلاَم : «بَارِيس تَعْقِدُ أَحْلاَفاً
جَدِيدَةً مَعَ الكَوَاكِب،
وَتَتَعَلَّمُ ثَوْرَةَ الشَّمْسِ».
ثُمَّ يَتَحَوَّلُ الفِيلُ، بِقُدْرَةٍ ما،
إِلَى جَدْوَلٍ مِنَ الدَّمِ
يَتَشَرَّدُ فِي البُيُوتِ والْحَوَانِيت.)

[(كَيْفَ أُزَيِّنُ لِلْغَزَالِي أَنْ
يُنَوِّر عَقْلَهُ بِضَوْءِ
نِيتْشهْ ؟
مَعَ ذَلِكَ، سَأُذَكِّرُهُ :
مُنْذُ النَّشْأَة،
تُسَافِرُ إِلَى العَالَمِ،
وَلَمْ تَصِلْ بَعْدُ.)]

فِي المَقْهَى
كُنْتُ أَسْمَعُ الضَّجِيجَ لاَ مُبَالِياً
فِيمَا أَقْرَأُ نِيتْشه وَأَحْسِبُهُ طُوفَاناً، ـ
حَقّاً، يَنْبَغِي أَنْ أُذْعِنَ لِطُوفَانِ المَعْنَى
يَنْبَغِي أَنْ أُصَادِقَ الشَّمْس مَائِلاً كَدَوَّارِ الشَّمْس
يَنْبَغِي أَنْ أَسْتَسْلِمَ لِنيلُوفَر الرَّغْبَةِ فِي بُحَيْرَةِ الجَسَد
يَنْبَغِي أَنْ أُفْرِغَ نَفْسِيَ كَطِفْلَةٍ أُهَيِّئُهَا لِلْمُسْتَقْبَل.

(ت)

(... في مَكَانٍ ـ لَهُ شَكْلُ طَاحُونَةِ الْهَوَاءِ،
حَيْثُ الزَّمَنُ كلِمَاتٌ ـ جُدْرَانٌ يَكَادُ المِلاَطُ الَّذِي يُثَبِّتُهَا أَنْ يَذُوبَ كَالْحِبْرِ
... تِمْثَالٌ مِنَ الوَرَقِ لِدُونْ كِيشُوتْ ـ وَحِيداً،
تِمْثَالٌ لِحِصَانِهِ ـ وَحِيداً،
وَالْهَوَاءُ عَبَاءَاتٌ تَتَدَلَّى مِنْ سَمَاءٍ بِلَوْنِ الرَّصَاصِ.)

6

هَلْ رَأَيْتَ الشَّاعِرَ - يَخْتَلِطُ وَجْهُهُ بِالصَّبَاحِ
خَالِطاً قَدَمَيْهِ بِاللَّيْلِ ؟
هَلْ رَأَيْتَهُ - يُسْنِدُ ظَهْرَهُ عَلَى الضَّوْءِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُشْعِلَ المَاءْ ؟
هَلْ رَأَيْتَ كَيْفَ تَتَحَوَّلُ أَوْرَاقُهُ تِيجَاناً للرِّيح ؟

كَانَ الجِنْسُ يَأْخُذُ العَرْشَ،
كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْ لاَفُونْتِين ذِئَابٌ تَكْمُنُ لِطَرَائِدِهَا فِي فَرْوِ
الكَلِمَات،
كَانَ مُتَشَرِّدُونَ يَتَوَسَّدُونَ أَعْنَاقَ زُجَاجَاتٍ فَارِغَةٍ، -
بَعْضُهُمْ يَهْجُو مَالاَرْمِيه،
بَعْضُهُمْ يَحْلُمُ بِرَامْبُو،
وَبَعْضُهُمْ يَقْرَأُ المَرْكِيزْ دُوسَاد.
وَكَانَ الحَيّ السَادِس عَشَرَ يَتَرَاءَى كَمِثْلِ غَابَةٍ لاَ تَتَحَرَّكُ فِيهَا إلاَّ رُؤُوسٌ
تُقِيمُ فِي كلِّ زَاوِيَةٍ مُتْحَفاً لِلأَعْضَاءِ الجِنْسِيَّة،
وَفِي رَمَادٍ يُغَطِّي وَجْهَ الفَضَاءِ، كَانَتْ حِبَالٌ صَوْتِيَّةٌ تُدَنْدِنُ بِمَا يُشْبِهُ
النَّذِير -

(ث)

(... هَذَا مَا قِيلَ عَنِ العَدْوَى وَتَعَفُّنِ المَبِيضِ الزَّمَنيِّ /
آلاَتٌ تُحَوِّلُ البَشَرَ إِلَى حسَاءٍ أَرْجُوَانِيٍّ
فِي شَرْقٍ مُؤَثَّثٍ بِآلِهَةٍ لاَ نَرَى مِنهَا غَيْرَ أَظْلاَفِهَا،
فِي غَرْبٍ لَمْ يَعُدْ يَقْرَأُ إِلاَّ أَمْعَاءَهُ وَأَنْيَابَهُ،
وهَا هُوَ يَنْخَسِفُ تَحْتَ أَهْرَاءِ البِذَارِ الإِلِيكْتْرُونِي.)

رَامْبُو،
كَيْفَ أَعْبُرُ هَذَا العَالَمَ الأَبْيَض، ـ أَنَا الَّذِي جَسَدُهُ النبُوَّةُ وَبَيْتُهُ الصَّحْرَاء ؛
كَيْفَ أَشْرَحُ بِكَلِمَاتٍ تجِيءُ مِنَ العَالَم،
ضَوْءاً يَجِيءُ ممَّا وَرَاءَهُ ؟
لاَبُدَّ، لاَبُدَّ.
سَأَبْتَكِرُ عِلْمَ أَخْلاَقٍ خَاصّاً بِي،
سَأَجْعَلُ مِنْ مَوْتِي قَصِيدَةً أَفْتَتِحُ بِهَا حَيَاتِي.

7

يُهَيِّئُونَ غُبَارَهُمُ الذَّرِّيَّ / نُرَدِّدُ صَلاَةَ المَوْتَى
مِنَ المَاء إلى الرَّمْلِ ـ مِنَ الرَّمْلِ إلى الثَّلْجِ
العَالَمُ كُلُّهُ سَمَكَةٌ لِلصَّيْدِ :

الشَّرْقُ جُرْحٌ وَلَمْ تَعُد السّياسَةُ إلاَّ تَقَيُّحاً
لَكِنْ، سَتُمْطِرُ أَيْضاً فِي الغَرْبِ
سَتُمْطِرُ فَوْقَ بُيُوتٍ تَنْمُو فِيهَا أَعْشَابُ الدّيْزَل وَالأُورَانْيُومْ
وَسَوْفَ يَكُونُ المَطَرُ مُوحِلاً وَأَسْوَدَ.

(ج)

(مِنَ الجِهَاتِ كُلِّهَا، تَتَقَاطَرُ غُيُومٌ سُودٌ، ـ
الأَعْيَادُ الَّتِي لَمْ تمت تَكَادُ أَنْ تَمُوتْ،
وَالذِّرَّةُ ذُبَابَةٌ تطِنُّ زَاحِفَةً عَلَى جَبهَةِ الوَقْت /
يا لذلِكَ الخُبْز السرِّي ـ تَأْكُلُهُ الجرْذَان الإِلِيكْتْرُونِية !).

(ح)

(يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَوَّدَ شَاعِرُ الغَرْبِ، هُوَ أَيْضاً،
أَنْ يَبْكِيَ عَلَى الطَّلَلِ،
وَأَنْ يَكْتُبَ عَلَى الرَّمْلِ.
يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يُوَحِّدُ بَيْنَ التِّرْيَاقِ والسُّمِّ،
وَأَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يَحُلّ مَا
لاَ يُمْكِنُ حَلُّهُ،
يَنْبَغِي، هُوَ أَيْضاً،
أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يَشْكُر الرِّيح.)

8

أُوه ـ كَلْبَةُ السَيِّد تَتَبَوَّلُ عَلَى رَأْسِ الأَنْفَالِيد،
أُوه ـ كَلْبُ السيِّدَةِ يَزْرِقُ عَلَى مَخَدَّة قَوْس النَّصْرِ.

9

مَيِّتٌ أَعْطَى مَيِّتٌ أَخَذْ،
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، وَالَّذِي
نَفْسُهُ بِيَدِي، يَتَّحِدَانِ فِي
جَوْقَةِ الكَلاَمِ ـ فِي شَفَا
جُرُفٍ هَارٍ
هَلْ هَذَا العَالَمُ شَيْءٌ آخَرُ
غَيْرُ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ ؟

وأَنْتِ، إِلَى وَلِيمَةِ المِحْنَةِ، أَدْعُوكِ أَيَّتُها
السيَّارَات العُلْوِيَّة التِي تُحَرِّكُهَا الأَظَافِرُ، ـ
التَّارِيخُ مُتَبَلٌ بِعَطَّارِين يُزَيِّنُونَ الأَوبِئَه
وَالعَمَلُ كُلُّهُ كَسَيْفٍ فِي المَاءِ.

(خ)

(«مَا هَذِهِ النِّسَاءُ، مَا هَذِهِ الكُتُبُ !» يَتَعَجَّبُ الثَّائِرُ الضَّيْفُ الذِي لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَضِيعَ كَمِثْلِ نُقْطَةٍ، فِي سَطْرٍ، فِي هَامِشٍ، فِي زَاوِيَةٍ مَّا.

ـ هَلِ التَصَقَ حَلْقُكَ بِهَذَا الإِسْمَنْتِ ؟ هَلْ تَقَلَّصَ طُوفَانُكَ فِي هَذَا المَقْهَى ؟

وَمَاذَا يَخْتَزِنُ لِصَحْرَائِكَ، غَيْرَ الرَّمْلِ، هَذَا الأَطْلَسُ الغَرْب ؟

وَلِمَاذَا لاَ يُسْمَعُ صَوْتُكَ إلاَّ حِينَ يَجِيءُ طَالِعاً مِنَ القَصَبِ الَّذِي لاَ يَزَالُ يَنْبُتُ حَوْلَ مَا تَبَقَّى لَكَ مِنَ اليَنَابِيعِ فِي أَرْضِكَ الكَرِيمَةِ ؟

أَيُّهَا الضَّيْفُ الغَامِضُ : رَجَاءً لاَ تَتَعَجَّبْ أَيْضاً، إِذْ أَقُولُ لَكَ : اعْمَلْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَضِيفَكَ المَوْتُ، لِكَيْ تَمُوتَ، لاَ كَمِثْلِ فَرَاشَةٍ، بَلْ كَمِثْلِ وَرْدَةٍ.)

هُنَا، حَيْثُ تُبْنَى أَعْشَاشُ اليَسَارِ
وَيبيضُ اليَمِينُ،
أَرَى إِلَى الوَقْتِ يَتَكَدَّسُ بَارُوداً
أَبْيَضَ، فِيمَا أَقِيسُ الأَعَالِيَ
الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَرْقَى إِلَيْهَا طُيُورُ
الحُلْمِ، وَفِيمَا يَتَوَضَّأُ جَامِعُ الحَيّ
الخَامِس، دَاخِلاً فِي بَيَاضِ الصَّلاَة،

وَفِي الصَّبَاحِ، إِذْ يَسْعُلُ بُولْفَارْ السان ميشِيلْ،
وَتَلْتَطِمُ أَحْشَاؤُهُ بِأَقْدَامِ المَارَّة، يَحْلُو أَنْ
أَرَى السَّمَاءَ تَنْزَلِقُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيَّ، وَأَنْ تَمُوءَ
قِطَّةٌ شَارِدَةٌ فِي أُذْنِ الرِّيح،

وَأَكَادُ لاَ أَرَى فِي بَارِيس إِلاَّ شَخْصَيْنِ :
وَاحِداً يَحْلُمُ تَائِهاً فِي دُرُوبِ أَيَّارْ 68
وَآخَرَ يَسْتَلْقِي بَيْنَ طَنَافِس القَرْنِ السَّادِس عَشَرْ.

(د)

1 - (قُلْ جَاءَ الوَقْتُ بِمَوَائِدِه، -
الحَيَاةُ حَصَاتُهُ الَّتِي تُطْبَخُ
وَالْمَوْتُ لَحْمَةُ النِّيءُ).

2 - (قُلِ الكَلاَمُ خَلِيفَةُ الوَرَقِ،
نُبُوَّةُ الرِّيح.)

(ذ)

(يَأْخُذُ السَّمَاءَ مَصْلُوبَةً عَلَى قَامَةِ أَنْدْرِيه بْرُوتْونْ، وَيَتْرُكُ
لِنَجْمَةٍ خَانَهَا ضَوْءُ السُّورْيَالِية
أن تبكِي عَلَى ذِرَاعَيْهِ.)

كَيْفَ أُصَالِحُ إِذَنْ، بَيْنَ رَمَادِ بَارِيس وَشَمْسِنَا
الَّتِي تَقْطُرُ دَماً ؟ كَيْفَ ألائِم بَيْنَ شَاطِئَيْ
بَحْرِنَا المُتَوَسِّطِ المُشْتَرك، فِيمَا نَتَعَثَّر
بِأَبَاطِرَة العَبَث، وَنَخْلَعُ سُلْطَانَ المَعْنَى ؟ كَيْفَ
أُوَفِّقُ بَيْنَ بُرْجِ إِيفِلْ وَالمسلَّة المِصْرِية فِي
سَاحَة الكُونْكُورْدْ ؟
أُقْسِمُ أَنَّهُ بَارِدٌ وَشِبْهُ مَيِّتٍ
أُقْسِمُ أَنَّهَا أَجْمَلُ عَاشِقَةٍ، وَأَنَّ قَامَتَهَا
هِيَ الأَلِفُ الحَقّ.
أُقْسِمُ أَنَّ سَرِيرَ الحَضَانَة البَشَرِيَّة
لَمْ يَعْرِف عُرَياً أَبْهَى.

(ر)

(لَيْسَ فِينيقُ المعدةَ بَل التّخَيُّلُ،
إذَنْ، مَا نَفْعُ أَنْ تَقْرَعُوا رَأْسَ مَاركْس
كَمَا يُقْرَعُ البَابُ، وَأَنْ تَتَّخِذُوا
مِنْ قَامَتِهِ سُلَّماً لِلصُّعُود.
إنْ كَانَتِ الرّغْبَةُ سَتَظَلُّ عَزْلاء،
إنْ كَانَ الحُلْمُ سَيَبْقَى نَهْراً مُتَجَمِّداً ؟ بِاضْطِرَابٍ،
أَلْقَى هَذِهِ المَوْعِظَةَ فِي سَاحَةِ البَاسْتِيلْ،
[كَانَ بَيْنَ الحُضُورِ سَانْ ـ جُوسْتْ،
وَرُوبِسْبِيير، وَدَانْتُون، وَبَقِيَةُ الخَلَف]
وارْتَفَعَ صَوْتٌ يَقُولُ : سُحْقاً لِلْفَرَاغِ
الَّذِي يَبْتَلِعُ الذَّاتَ وَالْحُنْجرَةَ،
وَأَخَذَتْ أَصْوَات تُرَدِّدُ : آمِينْ !)

10

بَارِيس،
ضَوْؤُكِ يَكَادُ أَنْ يَخُونَنِي
(يَجْلِسُ القَرْفَصَاءَ /
يَسِيرُ عَلَى عُكَّازَيْنِ)،
هَلْ أَقُولُ لِبِسَاطِ المُخَيِّلَة احْمِلْنِي ؟ ـ
أَهْبِطُ فِي مُونْمَارْتْرْ، عَلَى عَتَبَةِ
السَّاكِرِي ـ كُورْ، فِي صَحْنٍ بَيْضَوِيّ
يَحْمِلُهُ خَرُوفٌ مِنَ القُدْسِ،
أَتَعَرَّفُ عَلَى جَاكْ سِيمُونْ الَّذِي رَبَّى المَاعِزَ فِي غُرْفَتِهِ،
أَرَى أَشْخَاصاً كَمِثْلِ السَّيِّدْ بِيسُونْ
وَالسَّيِّدَة زَوْجَتِهِ «يُزَيِّنُونَ الحَيَوَانَات، وَيُهَيِّئُونَ مَآتِمَهَا»،
أَزُورُ مَقْبَرَةً (سِرِّيَةً ـ خَوْفَ أَنْ تُنْبَشَ الجُثَثُ)،
أَجْلِسُ فِي مَقَاهٍ تُذَكِّر بِمَقْهَى العُمْيَان
فِي أَرْوِقَةِ البَّالِيهْ ـ رْوَيَالْ، مَع مُتْعَبِينَ
مِنْ كُلِّ نَوْعٍ،
يَنْفُشُونَ السَّاعَاتِ كَالْقُطْنِ.

بَارِيسُ، ـ لَمَسْتُ أَنْحَاءَكِ المُتَنَاثِرَةَ فِي أَعْضَائِي،
وَابْتَكَرْتُ لَكِ جَسَداً
آخَر، ـ

(الرُّوحُ شَبَحٌ لاَ يَنْطِقُ،
وَالْجَسَدُ، وَحْدَهُ، يقْدِر
أَنْ يَقُولَ الجَسَدْ).

وَهَا أَنَا أَقْتَفِي خطَوَاتِ الأَحْدَبِ،
لاَ الأَحْدَبُ الَّذِي نَامَتْ بَيْنَ
يَدَيْـهِ نُوتَرْدَامْ، بَـلْ ذَلِـكَ الـذِي
لاَ يَزَالُ يَظْهَرُ، كُلَّ يَوْمٍ، شَبَحاً
يَزْحَفُ عَلَى أَرْصِفَةِ السَّانْ ـ مِيشِيلْ،
وَيَتَقَوَّسُ فَوْقَهُ اللَّيْل فِـي الحَـيِّ السَّـادِس
عَشَر، حَيْثُ الذَّكَرُ بُسْتَانُ حَيَوَانَاتٍ،
وَالأُنْثَى حَدِيقَةٌ لِنَبَاتَاتٍ خُنْثَى.

أَقُولُ هَامِساً : شَبَحٌ، وَأَسْأَلُ : نِرْفَال !
هَلْ كَانَ الحَبْلُ نَاعِماً، كَمَا اشْتَهَيْتَ ؟

فِيرْلِينْ !

انظُرْ، إِنَّهَا ذِرَاعُ الشَّعْرِ تَنْحَدِرُ مِنْ قِمَّةِ الأُوبِّرَا، حَامِلَةً القِيثَارَ الذَّهَبِيّ.
وَانْظُرْ ! إِنَّهَا تَتَحَطَّمُ حَيْثُ عَبَرَ جُثْمَانُكَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى غُرْفَتِهِ الأَخِيرَةِ.

وَكَـانَت «أَعْيَـادُكَ العَـاشِقَـةُ» تُرَافِقُ العَرَبَـةَ التِي نَقَلَتْ بِرْلْيُـوز إِلَى مِقْبَرَةِ مُونْمَارْتَرْ، وَتُصْغِي إِلَيْهَا تُحَمْحِمُ الوَدَاعَ.

أَقُولُ هَامِساً : شَبَحٌ، فِيمَا أَنْعَطِفُ نَحْوَ كَنِيسَة السان ـ جِيرْمَانْ، لِكَيْ أُحَيِّي أُبُوللّينير : سَلاَمٌ، أَيُّهَا الشَّبَحُ، أَنْتَ أَيْضاً.

11

بُرْجُ إِيفِّلْ نُوتَرْدَامْ اللُّوفرْ

(هَلْ أَحْلُم ؟ ـ لَمْ يَعُدْ بُرْجُ إِيفِّلْ فِي مَكَانِهِ

وَهَـا هُـوَ اللُّـوفر يَـزْحَفُ نَحْـوَ الشَّـاطِىءِ الشَّرْقِيّ مِنَ المُتَوَسِّطِ

كَأَنَّهُ يُرِيدُ، هُوَ أَيْضاً، أَنْ يَقْتَفِي خُطُوَاتِ الإِسْكَنْدَرِ،

وَهَا هِيَ نُوتَرْدَامْ تَنَامُ، فِيمَا تَبْتَهِلُ وَتُرَبِّتُ عَلَى كَتِفِ السَّمَاءِ لِكَيْ تَتَّخِذَهَا وِسَادَةً لأَحْلاَمِهَا.)

بُرْجُ إيفِلْ **نُوتردَامْ** **اللُّوفرْ**

جَامِع الحَيّ الخَامِس

(أَتمْثَالٌ يُرِيدُ أَنْ يُقْنِعَنِي أَنّ عَذْرَاءَ مِنَ الغَرْبِ هِيَ الَّتِي حَبَلَتْ بِالْعَقْلِ لِلْمَرَّةِ الأُولَى ؟

وَلِمَنْ هَذَا القَوْلُ : «**هَكَذَا تَكَلَّمَت المعدَة :**

نُسَمِّي الشَّرْقَ والغَرْبَ خَصْمَيْنِ،

وَالغُبَارَ حَكَماً ؟»

ثُمَّ أَنْظُرُ إِلَى الوُجُوهِ وَأَقُولُ :

الجَمَادُ لَيْسَ فِي الجَمَاد، بَلْ فِي الإِنْسَان.)

نُوتردَامْ **جَامِع الحَيّ الخَامِس**

ابْكِي، يَا مَلاَئِكَةَ الجَحِيمِ،

لَنْ تَجِدِي بَعْدَ الآنَ زَائِراً تَسْتَمْتِعِينَ بِشوَائِهِ :

أَفْوَاجاً، أَفْوَاجاً ـ تَمْضِي إِلَى النَّعِيمِ الحَيَوَانَاتُ كُلُّهَا، نَاطِقَةً وَعَجْمَاء !

12

حَدَثَ هَكَذَا

وَلْتَنْفَجِرْ ذَاكِرَةُ السُّلاَلاَتْ، ـ

أبُو نَوَّاسْ

بَشَرٌ مِنْ فَصِيلَةِ الإِنْسَانِ النَّاطِقِ
لَكِنَّهُمْ لاَ يَنْطقُون،
وَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَبَبٍ مِنَ الخَرَس
أوْ أَيَّةِ عَاهَةٍ جَسَدِيةٍ،

فِي صَحْرَاءَ ـ غَازٍ، لِلْغَزْوِ
حَرْبٌ يُعْلِنُهَا ذَلِكَ هَذَا ذَاكَ
لاَ لِكَيْ يَتَحَرَّر،
بَلْ لِكَيْ يَبْقَى عَبْداً ـ

لَكِنْ، هَا هِيَ يَدٌ تُعَرِّي الْهَوَاءَ مِنْ ثِيَابِه،
تَكْسُوهُ بِثِيَابٍ أُخْرَى

لَكِنْ، هَا هُوَ بَيْتٌ يَأْخُذُنِي إِلَيْهِ جَسَدِي
أَتَعَرَّفُ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَيْسَ جَسَدِي
فِي لَيْلَةٍ لَمْ أُقْدِرْ لِجَمَالِهَا
أَنْ أُمَيِّزَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سِرْوَالِي
حَيْثُ اللهُ نَفْسُهُ
مُبَلَّلٌ بِعَرَقِ العَصْرِ

بُودْلِير

مَلاَئِكَةٌ جَامِدُونَ فِي أَنْحَاءِ نُوتْرْدَامْ
يَحْتَاجُونَ إِلَى أَجسَادٍ أُنْثَوِيَّة
لِكَيْ يَعْرِفُوا كَيْفَ يَسِيرُونَ فِي الْهَوَاء -

هَوَاءٌ يَرْفُضُ أَنْ يَتَحَرَّكَ، إِلاَّ إِذَا
نَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِكَ -
حَيْثُ النِّسَاء جِرَارٌ نِصْف مَكْسُورَات
فِي أَسِرَّةٍ تَخْتَبِئُ تَحْتَ قَنَاطِر
السِّين، والجُسُورُ أَحْلاَمُهَا
العَائِمَة

حَيْثُ يَلْتَحِفُ العَقْلُ الإِلِيكْتْرُونِيّ بِعَبَاءَةِ
كْرِيشْنَا، ويَضْطَجِع المِينُوتُور
الأَسْوَد فِي أَحْضَانِ المَرْأَة البَيْضَاء .

حَيْثُ تَخْرُجُ مَلاَئِكَةُ الحِكْمَةِ مِنْ سُجُونِهَا
وَتَنْدَفِعُ إِلَى عِنَاقِ مَلاَئِكَة الرغْبَةِ فِي سَدِيمِ إِشَارَاتٍ
وَكُلُّ إِشَارَةٍ مُعْجَم .

حَدَثَ هَكَذَا ـ وَٱنْفَجِرِي
يَا ذَاكِرَةَ السّلاَلاَت، ـ

المُتَنَبِّي

غَزَّازَاتٌ لِمَسَامِير العَقِيدَةِ
طَرَائِدُ تَتَعَقَّبُهَا الفِئْرَانُ

كَائِنَاتٌ بِرُؤُوسِ الدّجَاجِ وَقَامَاتِ العَمَالِقَة
فِي مَمَالِكَ ـ جوَارٍ
شَخْصٌ يَحْمِلُ مِذْرَاةً تَحْمِلُ رَأْساً رَمْزاً لِسُلْطَانِه
قُصَاصَاتُ أَشْلاَءٍ، وَالرُّؤوسُ فَوَاصِلُ وَحَرَكَاتْ

خُرَافَاتٌ تَنْبُضُ بَيْنَ الوَرِيد وَالوَرِيد فِي
تَارِيخٍ يُلَفّ عَلَى وَشِيعَةٍ لِلحِفْظِ، وَالحَمْدُ لِلْكَافُورِ

أَقْدَامٌ تَمْشِي فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا إِلَى اليَمِينِ وَإِلَى اليَسَار

هُوغُو

فِي زَمَنٍ - مِصفَاةٍ يَنْزِلُ مِنْهَا بِدفْقٍ وَاحِدٍ، دَمُ القَتِيل وَلُعَابُ القَاتِل

سَدِيمٌ تَمْتَزِجُ فِيهِ الأَشْيَاء، -
حَيَوَانَاتٌ مِنَ القشِّ تَرْكُضُ، يَتْبَعُهَا أَطْفَالٌ عُمْيَان،

رُؤُوسٌ تُذَكِّرُ برَأْسِ أُورْفيُوس
لَكِنَّهَا لاَ تَسْبَحُ فِي المَاء، بَلْ فِي الدُّخانْ

فِي صُرَاخٍ لاَ يَخْرُج مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْن،
وَتَرَى فِيهِ أَيدِيَ تَتَخَبَّطُ وَلاَ تَرَى أَجْسَاماً

عُمَّالٌ يَعُودُونَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى أَكْوَاخِهِمْ يَحْمِلُونَ عِيدَاناً لَيْسَتْ إِلاَّ أَفْخَاذاً لآخَرِينَ عَاطِلِينَ عَنِ العَمَلِ

هَلْ أَحْوَالُ الجِسْمِ تَتْبَعُ حَقّاً أَحْوَالَ النّفْسِ ؟
أَسْأَلُ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ يُكَرِّرُ عَلَيَّ هَذَا
القَوْلَ فِي بَيْرُوت، وَالذِي كَانَ يَلْبِسُ خُفاً أَحْمَرَ ـ
يَمْتَطِي جرَادَةً وَيَصِيح الدُّنيَا بَاطِلٌ بَاطِل.
كَلاَّ، كَلاَّ
جَسَدِي يُحِبُّ شُحُوبَ السَّمَاءْ
وَأَحْلاَمِي تُغَيِّرُ طَرِيقَهَا، ـ
أَظُنُّ أَنَّ الكَائِنَ الَّذِي يَسِيرُ صَالِياً وَجْهَهُ كَمِثْلِ أُنْشُوطَةٍ
وَالَّذِي يُشَاطِئُ الفُرَاتَ وَالنِّيل
فِيمَا يُشَاطِئُ السِّينَ وَالهِدْسنَ وَالتَّايْمزْ،
لاَ يَسِير، بَلْ يُسَرْنِمُ لِكَيْ يقدرَ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى أَعْضَائِهِ،
وَالحَمْدُ لِكُلِّ التِبَاسٍ !
هَلْ لِي أَنْ أَنْتَظِرَ تَسَنْبُلَ بِذَارٍ آخَرَ ؟

13

شَغَفِي مَلِئٌ بِبِذَارٍ يَخْرُجُ خِفْيَةً مِنْ هِيرَاقْلِيطس ونِيتْشه،
ذَلِكَ أَنَّ فِي أَحْزَانِيَ شَيْئاً مِنْ وَرَقِ الغَارِ، وَأَنّ بَيْنَ كَتِفَيَّ شِرَاعاً رَأَيْتُ شَبِيهَهُ
مَرَّةً فِي البَحْرِ المُتَوَسِّطِ، قُرْبَ جَزِيرَةِ أروَاد (وَالغَرِيبُ أَنَّ ٱسْمَهُ هَجَرَ ذَاكِرَتِي)،

ذَلِكَ أَنَّنِي أُطَارِدُ رَأْسَ ذَرَّةٍ
يَخْرُجُ مِنْ كَهْفٍ إِلِيكْتْرُونِي،
يَلْتَفّ حَوْلَ نَفْسِهِ كَالبصْلَة، ثُمَّ يَتَفَكَّكُ أَصْواتاً فِي بُوقٍ كَنسيّ
لاَ يَزَالُ يَلْتَصِقُ بِجِذْعِ القَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ،

ذَلِكَ أَنَّهُ يَكْفِي لِكَيْ تُشَكِّلَ جَسَدَ إِنْسَانٍ فِي هَذَا العَصْرِ
أَنْ تمْزِجَ أَرْجُلَ نَمْلَةٍ بِرَأْسِ جَرَادَةٍ (وَاخْتَرْ، لِكَيْ تُشَكِّلَ رُوحَهُ، مَا شِئْتَ مِن
تِلْكَ المَوَادّ الَّتِي تَمْلأُ الحَوَانِيتَ)،
ذَلِكَ أَنَّ سُلْطَةَ السَّمَاءِ لاَ تَزَالُ تَنْحَنِي أَمَامَ كُرْسِيّ جَانْ دَارك،
وأَنَّ مَاءً لاَ يَزَالُ يَتَقَطَّر مِنْ حَدِّ سَيْفِهَا،
يَشْفِي المَجْذُومِينَ الَّذِينَ يَغْتَسِلُونَ بِهِ،
ذَلِكَ أَنَّ مَعِدَةَ هَذَا العَصْرِ لاَ تَزَالُ تَنْتَسِبُ إِلَى نِيرُون،
ذَلِكَ أَنَّنِي حِينَ أَقْرَأُ عَنِ الحُرِّيَة فِي هَذَا العَالَم،
يخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّنِي أُطَارِدُ جُرْذاً بِأَلْوَانٍ ثَلاَثَة،
يُطَارِدُ هُوَ نَفْسَهُ هِرّاً بِذَيْلَيْنِ وَثَلاَثَةِ أَجْنِحَه.

14

هَلْ جَسَدُ بَارِيس يَجِفّ ؟ تَسَاءَلتُ، وَأَنَا أَسْتَقْبِلُ فِي شَامب دُو مَارس كَوْكَباً

سُرْعَانَ مَا تَحَوَّلَ إِلَى فَرْوٍ مِيمُوزِيٍّ، أَخَذَتْ تَتَحَلَّق حَوْلَهُ نُجُومٌ مِنَ الكَلِمَات صَغِيرَةٌ كَعجِيزَةِ مَارِي أَنْطوَانِيتْ،

وَلَمْ يَكُن الشَّجَرُ يُصَدِّق الزَّهْرَ، وَلاَ الزَّهْرُ يَثِقُ بِالشَّمْسِ،

كَانَتِ الرِّيحُ وَحْدَهَا لاَ مُبَالِيَةً وَكَانَ الغُبَار يُصَفِّقُ لَهَا.

وَحَسِبْتُ وأَنَا أَنْظُرُ إِلَى بُرْجِ إِيفِلَ أَنَّ طِفْلَةً تَرْفَعُهُ بِسَاعِدَيْهَا، خِلاَفاً لِمَا يُؤَكِّدُهُ لويسْ كَارُولْ،

وَكَانَ لِلْوُجُوهِ حَوْلَهُ أَشْكَالُ غُيُومٍ تُغَيِّرُ لَوْنَهَا دَائِماً،

وَلَمْ تَكُنِ الرُّؤُوس قَمَرِيَّةً وَلاَ شَمْسِيةً،

كَانَت، بالأَحْرَى، تَنْتَسِبُ إِلَى كَوْكَبٍ آخَرَ نَسِيْتُ كَيْفَ أَصِفهُ (سَأَسْأَلُ عَنْهُ لِيتّرِي، فِيمَا بَعْدُ).

يَا لَلْمُفَارَقَاتِ التِي هِيَ، وَحْدَهَا، المَنْطِقِيَّةُ،

يَا لَلأَشْيَاء المُتَنَاقِضَةِ التِي لاَ نَقْدِر أَنْ نَرَى وَحْدَةً إِلاّ فِيهَا !

وَإِذْ هَدَأَ تَعَجُّبِي، قُلْتُ مُطْمَئِنّاً ـ بَارِيس،

(ز)

(الوَقْتُ يَجِيءُ بِوُحُوشِهِ، لَكِنْ كَيْفَ يُرَوِّضُهَا ؟
الوَقْتُ يَجِيءُ بِمَهَاوِيهِ، لَكِنْ هَلْ يقْدِرُ أَنْ يَتَمَرْأَى فِيهَا ؟
الوَقْتُ يَجِيءُ بِمَقَاصِلِهِ وَالأَشْيَاء كُلّهَا تَرْتَجِفُ، ـ
أَظُنُّ أَنْ اسْمَكَ، أَيُّهَا الوَقْتُ، هُوَ الذِي يقْبَعُ فِي حُنْجرَتِهِ كَجوزَةِ القَيْء !)

(س)

(الحَيَاةُ تَتَلَكَّأُ بَيْنَ خُطُوَاتِهِ، ـ
أَلِهَذَا يُحَيِّي المَادَّةَ الَّتِي تَجْثُم حَوْلَهُ، كَأَنَّهَا مَوْتُهُ المُسَبَّق ؟
أَلِهَذَا يُكَرِّر سُؤَالَهُ :
أَلَنْ يقدِرَ هَذَا العَالَمُ أَنْ يَرْقُدَ
فِي أَسِرَّةٍ لَيْسَتْ لِلقَتْلِ ؟).

رُبَّمَا فِي هُنَيْهَةٍ مَا (فِيمَا أَدْخُل إِلَى أَحْشَاء
الطَّبِيعَةِ، تَالِياً أَسْمَاءَ شَوَارِعِكِ
شَارِع الشّلاَّلاَت، شَارِع الجَدَاوِل، شَارِع الحَور، شَارِع الأَكَاسْيَا،
شَارِع الصّفْصَاف، شَارِع اللّوز، شَارِع الكسْتِنَاء، شَارِع الكَرَز،
شَارِع التُّوت، شَارِع الخَوخ، شَارِع التِّين، شَارِع الوَرْدِ، شَارِع
الزَّيْزَفُونْ -

دُونَ أَنْ أَنْسَى شَارِع مُوزَايَا وَرَنِينَهُ العَرَبِي) - رُبَّمَا فِي هُنَيْهَةٍ مَا،
سَأُوَحِّدُ بَيْنَ حُرُوفِكِ الصَّائِتَة وَمَثِيلاَتِهَا فِي اسْمِي، تَارِكاً الحُرُوفَ
السَّاكِنَة لِنُعَاسِهَا السَّمَاوِيِّ، أَوْ رُبَّمَا صَنَعْتُ مِنْهَا سجَّادَةً لَنْ يقدر
شَاعِرٌ فَرَنْسِيٌّ حَتَّى بُونْج نَفْسُهُ، أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الجَنَاحِ).

(ش)

(لاَ الشَّرْقُ لله، وَلاَ الغَرْبُ، [وَعْذْراً
لغوته]
وَهَا هُوَ الشّمَال يَغْرَقُ فِي جَلِيدِ الذَّاكِرَة
وَكُلَّمَا ظَنَّ الجَنُوبُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دَاءٍ،
دَخَلَ فِي دَاءٍ آخَر،
ثُمَّ يقنع مُكَرِّراً هَذَا الحِكْمَة :
الفَرَحُ أَقْرَبُ الأَصْدِقَاءِ إِلَى الحُزْن).

(ص)

(مَا الذِي يَجْعَلُ قَدَمَيْهِ تَعْرِفَانِ السِّين،
أَكْثَرَ مِنْ دجْلَةَ أَوْ برَدَى ؟

يَالَهُ مِنْ بُهْلولٍ -
يُحِبّ الإِنْسَانَ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّ الأَرْضَ،
وَيُحِبّ الأَرْضَ أَكْثَرَ مِمَّـا يُحِبُّ الْوَطَن.)

15

تَقُولُ إِنَّ. أَقُولُ ليكُنْ.
أَرْمِي أَقْلاَمِي لِحُفْرَةٍ فِي وَجْـه القَمَرِ، وَأُعْطِي ذِكْرَيَـاتِي لِتَجْعِيـدَةٍ فِي عُنُقِ السِّين، ـ
اجْرِ، أَيُّهَا النَّهْرُ، حَامِلاً الغُبَارَ وَفُصُولَهُ
لاَ تَنْسَ ذَلِكَ النَّهْرَ الآخَرَ الَّذِي يَجْرِي بَيْنَكَ وَبَيْنَكَ
احْتَرِسْ مِنَ الأُنُوثَةِ التِي فِيكَ وَالتِي لاَ تَظْهَرُ إِلاَّ ذُكُورَةً
احْتَرِسْ مِنَ الكَائِنِ الذِي فِيكَ، وَالذِي يُوسْوِسُ أَنَّهُ أَكْمَلَك.
اجْرِ، أَيُّهَا السِّينْ
مَوْجاً يَخْتَرِعُ طمْيَه مِنَ البَشَرِ وَالأَنْقَاضِ الأُخْرَى ـ
وَأَرَى إِلَى السِّينِ جَارِياً ـ
يَحْمِلُ أَجْرَاسَ أُورُوبَّا التِي بَدَأَ الطُّحْلبُ يُغَطِّيهَا،
مِنْ إِفْرِيقْيَا وَآسِيَا، وَبَقِيَّة المَتَاهَات،
يَحْمِلُ أَجْرَاسَ أُورُوبَّا التِي بَدَأَ الطّحْلبُ يُغَطِّيهَا،

(ض)

I - (يَبْقَى أَنْ يُشَرِّقَ السِّين
[الإِشَارَةُ هُنَا إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، غَيْر
«النِّعَم الإِلَهِية» الَّتِي امْتَدَحَهَا
غوته فِي «الدِّيوَان» :
العِمَامَة، الخَيْمَة، السَّيْف
المحدَّب، النَّشِيد]،
يَبْقَى أَنْ يَخْتَلِطَ مَاؤُهُ،
كَمَاءِ الفُرَاتِ، بِضَوْءِ الكَوَاكِب.)

II - (يَبْقَى أَنْ نَرْفَعَ لِلْحِكْمَةِ عَمُوداً آخَرَ،
يَبْقَى أَنْ نَصْنَعَ مَرَاكِبَ فَضَائِيةً،
لاَ لِكَيْ نَذْهَبَ إِلَى الكَوَاكِبِ،
بَلْ إِلَى بُيُوتِنَا،
يَبْقَى أَنْ نَبْتَكِرَ حَيَوَانَاتٍ مُجَنَّحَة
تَنْقُلُ مَجَّاناً جَمِيعَ الفُقَرَاء
الذِينَ يَحْلُمُونَ بِالطَّوَافِ حَوْلَ
الأَمَاكِنِ الَّتِي يُقَدِّسُونَهَا،
يَبْقَى أَنْ نَعْرِفَ كَيْفَ نُحَوِّلُ الرِّيح إِلَى نَرْدٍ صَائِبٍ.)

أَرَى إِلَيْهِ يَجْرِي -
تَجْرِي مَعَهُ أَفْرَاسُ القُرُونِ الوُسْطَى
وَعَرَبَاتُ النَّهْضَة وَدُمَى الحَدَاثَة،
تَجْـرِي أَصْـوَاتُ بُودْلِيـــر وَلُوتِرْيَامُونْ،
نرفَال، وَهِيجُو، رَامْبُو، مَالاَرْمِيه،
بِيكَاسُو،
يَجْرِي وَتَنْكَسِرُ فِي تَمَوُّجَاتِهِ الثَّورَاتُ
وَالتَّوَارِيخُ كَخُبْزٍ يَابِسٍ.

أَقُولُ إِنَّ،
تَقُولُ لِيَكُنْ -
اجْرِ، أَيُّهَا النَّهْرُ،
أَجْلِسْ أَطْرَافَ العَالَمِ عَلَى رُكْبَتَيْكَ،
وَقَدِّمْ لَهَا آخِرِ هَبَّةٍ لِلْهَوَاءِ -

المَاءُ رغْبَةٌ وَغَطَّاسُونَ يَرْتَجِلُونَ اللَّذَّة،
وَالشَّهْوَةُ تَمْلِكُ الضِّفَاف.

16

إِنَّهَا شَهْوَتِي تَتَدَفَّقُ فِي خَرَائِطِ المَادَّةِ،
وَهَا هِيَ الدَّقَائِقُ تَتَفَتَّحُ فِي أَسِرَّةِ
المَكَانِ، كَمِثْلِ أَعْضَاءٍ جِنْسِيَّةٍ.

وَفِي سَيْرِي، كُلَّ صَبَاحٍ مِنْ 116، شَارِع
لُورْمِيل، إِلَى 1، شَارِع مِيُولِّيس، أَقْرَأُ
فِي نُقْطَةِ المَاءِ كِتَابَ المُحِيطَات،
أَلْمَسُ الضَّوْءَ الذِي يَعْمَلُ كَالمِحْرَاث
وَأَكْتَشِفُ كَيْفَ يَظَلُّ الشَّاعِرُ طِفْلاً وَلَهُ عُمْرُ الأُفُق،

ثُمَّ لاَ أَعُودُ أَتَرَدَّدُ فِي القَوْلِ : «الذَّاتُ
وَالآخر
أَنَا»

وَلَيْسَ الوَقْتُ نَفْسُهُ إِلاَّ سَلَّةً
لقطَاف الشِّعْرِ.
فَجْأَةً، أَلْتَقِي رَامْبُو، وَنُجَدِّد مِيثَاقَنَا :
الحجابُ هُوَ نَفْسُهُ الضَّوْء /
الغَرْبُ اسْمٌ آخَرُ لِلشَرْق.

17

كَلاَّ، لَيْسَ جَسَدِي بَجعاً وَلاَ نيلُوفراً،
لَكِنْ تَحْتَ أَهدَابِي تَرْقُدُ أُوفِيلْيَا،
كَانَت قَدْ اكْتَشَفَتْنِي خَطَأً،
وأَحْلاَمِي كلّهَا بُحَيْرَاتٌ جُنَّتْ.

وَالآنَ، أَنْصَحُ نَفْسِي بِصَوْتٍ عَالٍ
أَمَامَ هَامْلِتْ :

لاَ تُكُنْ حَكِيماً ـ

لاَ تَذَكَّرْ دَائِماً أَنَّ الحُبَّ وَالمَرَضَ مِنْ عَائِلَةٍ وَاحِدَةٍ،
لاَ تَوَقَّفْ عِنِ الاهْتِمَامِ بِالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ، القَمَرِ وَالشَّمْس
حَقّاً، لِلْحُبِّ كَمَا يُعَلِّمُ هَامْلِت، حُرُوبٌ كَثِيرَة
وَلاَ بُدَّ، بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَر، مِنْ عَاصِفَةٍ
فِي الجَسَدِ تُعِيدُ تَرْتِيبَ أَعْضَائِهِ، ـ
هَكَذَا رَعَيْتُ، هَذَا المَسَاء، قِطْعَانَ الشَّوَارِعِ فِي بَارِيس،
وَحِينَ رَأَيْتُ نَوَافِيرَ اللّهَب تَتَفَجَّرُ مِنْ أَفْخَاذِ العِمَارَات، تَمْتَمْتُ :
لاَ شَيْءَ يَمْلَؤُنِي وُضُوحاً كَهَذَا الغُمُوض
(أَوْ لَعَلِّيَ تَمْتَمْتُ : لاَ شَيْءَ يَمْلَؤنِي غُمُوضاً كَهَذَا الوُضُوح).

III - (كَيْفَ تُؤخَذُ هَذِهِ الرَّاحَةُ -
السَّمَكَةُ فِي مَاء العَصْرِ ؟
كَيْفَ يُقِيمُ فِي جَسَدِهِ الذِي
يَفْرُغُ حَتَّى مِنْهُ ؟
كَيْفَ يُفَكِّكُ هَذَا الجِسْمَ
المَرْئِيَّ مِنْ كَلاَمِهِ الَّذِي تَسْنُدُهُ
أَعْمِدَةُ لُغَةٍ غَيْر
مَرْئِيَّة ؟).

هُوَ ذَا أَنَا، ـ
أَخْرُجُ مِنْ سُلاَلَتِي كَعِطْرِ وَرْدَةٍ
تَكَادُ أَنْ تمُوتَ،
أَتَمَوَّجُ وَأَتَعَدَّدُ،
أَتَشَبَّهُ بِالنَّحْلِ وَأَصْنَعُ شَهْدِيَ الخَاصّ.
وَهَا هِيَ الحَيَاةُ بَارِدَةٌ وَأَقَلّ
مِنْ أَنْ تَكُونَ جُرْحاً
لاَ أَرَى غَيْرَ آلاَتٍ تَتَزَاحَمُ فِي
حُقُولٍ مِنْ أَنْفَاسِ البَشَرِ،
وَلَيْسَ ثَمَّةَ نَهَارٌ وَلاَ لَيْلٌ
بَلْ شَرِيطٌ يَتَوَاصَلُ مِنْ لَحَظَاتٍ تَتَقَطَّعُ ـ
لاَ الخَارِجُ بَيْتِي،
وَالدَّاخِلُ ضَيِّقٌ عَلَيَّ ـ
كَعِطْرِ وَرْدَةٍ تَكَادُ أَنْ تَمُوتَ
أَخْرُجُ مِنْ سُلاَلَتِي
لاَ أُرِيدُ أَنْ أُسَمِّي / أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ سمِيّاً لِلضَّوْءِ،
لاَ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَمْسِكَ / أُرِيدُ أَنْ أُرَادِفَ الرِّيح.

باريس، أواخر 1986 ـ أوائل 1987

المَهْد

... إِذَنْ أَدْعُو إِلَى تَوَاطُؤِ الهَمْسِ وَالشَّمْسِ، العُنُقِ وَالأُفُقِ
إِذَنْ، أُشَبِّهُ غُمْدَانَ بِالنَّهَارِ، وَبَلْقِيسَ بِاللَّيْلِ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا الهَدِيل.

1

شَجَرُ أَيَّامِهِ عَارٍ، وَالجذْرُ الَّذِي نَمَاهُ يَأْخُذُ شَكْلَ الصَّحْرَاءِ، وَهَا هُوَ التَّارِيخُ يُلَفُّ بِالسَّرَاوِيلِ، وَالوَطَنُ يُكْسَى بِالرَّمْلِ لَكِنْ
هَذَا الظَّاهِرُ لاَ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ يَعْرِفُهُ بَاطِنٌ لَمْ يَحِنْ
ظُهُورُه بِالْغِيَابِ يَمْتَحِنُ وَيَسْتَقْصِي، وَبِاسْمِ الحُضُورِ
يسنّ شَفْرَةَ الكِتَابَةِ وَيُحَزِّزُ هَذِهِ الأَرْض.

إِنَّهَا مُهْرَةُ الحِبْرِ تَخبُّ فِي سُهُولِ الحُلْمِ، لَكِنْ لأَحْلاَمِهِ طَبِيعَةُ الجبَال

مَحَـارَاتٌ وَقَوَاقِعُ يلفظُهَـا مَـوْجُ الـذَّاكِرَة الـزَّبَـدُ يَنْعَقِـدُ
أسَاوِرَ فِي مِعْصَمِ الشَّاطِئِ، وَالصَّخْرُ صَنَّـارَةُ الهَوَاءِ وَرَأَى
أَنَّ لأَيَّامِهِ جَسَداً تَمْسَحُهُ الرِّيـاحُ بِرِيشِهَـا، وَأَنّ دُرُوبَـهُ غَـابَـاتٌ
تَحْتَرِقُ

كيْفَ يُحَرِّرُ هَذَا الأُفُقَ الَّذِي يَلْتَهِمهُ مِنْشَارُ الرُّعْبِ ؟

2

قَالَ أَنْسَلِخُ مِنْ أَنْقَاضِي وَأَرْمِي نَرْدِيَ النّبِي، -
«عَلِي أَحْمَد سَعِيد، اسْمٌ يَمَانِيٌ»،
سَمِعْتُ هَـذَا مِرَاراً والنَّقْشُ الَّـذِي بَقِيَ مِنْ قَصْرِ غُمـدَانَ
يَعْرِفُ اسْمِي وَالحَجَرُ الـذِي نُصِبَ لِعَشْتَرَ يَتَـذَكَّر اسْمِي لي
فِي تُرَابِ اليَمَن عِرْقٌ مَا طِينَتِي قَابِلَةٌ وَغَرِيزَتِي حُرّة، -
أَنَا الأُسْطُورَةُ وَالهَوَاءُ جَسَدِي الذِي لاَ يَبْلَى

هَكَـذَا ذَهَبْتُ مَعَ ظَنِّي الجَمِيلِ انْسَلَخْتُ مِنْ أَنْقَـاضِي وَرَمَيْتُ نَرْدِيَ النبيّ /

هُـوذَا أَتَـوَهَّـجُ مَـع رَامْبُـو بَيْنَ جَمْرَةِ عَـدَنٍ وَتَبَـارِيـحِ المَنْـدَب عَـارِيـاً مِنِّي مَكْسُوّاً بِهَـا أَضِيـعُ فِيهَـا وَتَتَضوَّعُ فِيَّ -

عَدَنٌ / قَدمَاهَا مَوْجٌ

جِـذْعُهَـا بَرَاكِين فَجْرُهَـا يَطُـوفُ سَـاحَـاتِهَـا بِقَمِيصٍ مِنْ نَـارٍ وَحِينَ يَقْرَعُ بَـابَـكَ يَـأْتِي مَحْمُـولاً عَلَى أَجْنِحَـةِ النَّوارِس تَنْهَضُ وَتَجْلِسُ مَعَ شَمْسٍ تَجْمَعُ بَيْنَ حِكْمَـةِ الغُرَابِ وَعُـذُوبَـةِ البَجَـعِ تَرَى إِلَى البَـوَاخِرِ تَتَـدَوَّر قِبَـابـاً تَكْتَنِـزُ المُحِيط وَمِنْ كِتَابِهَا مَفْتُوحاً عَلَى مَدَى الزُّرقَة تَسْمَع كَلِمَـاتٍ لَم تَـأْلَفْهَـا تُفْرِغُهَـا عَلَى صَفَحَـاتِ الشَّـوَارِعِ رَافِعَـاتٌ وَعَرَبَـاتٌ / مَحَـابِرُ وَأَقْـلاَمٌ مِنْ مَعْـدَنٍ آخَر وَكُنْتُ أَسْمَعُ كَلِمَـاتٍ أُخْرَى تَتَسَاقَطُ عَلَى الأَرْصِفَة / يَمْتَلِئُ وَجْهُهَا بِـالْجِرَاحِ وَلاَ شِفَـاءَ لِرُضُوضِهَـا وَبَيْنَ أَسْلاَكِ الحَدِيدِ وَأَسْلاَكِ القنّبِ يَتَصَاعَدُ الصّخب :

عُمَّالٌ يَفْتَحُونَ خَزَائِنَ المَوْجِ

عُمَّالٌ يُفْرِغُونَ وَيَفْرِزُونَ

عُمَّالٌ يَحْزِمُونَ وَيُكَوِّمُونَ

وَتَرَى إِلَى العرَق يَتَدَحْرَجُ عَلَى جبَاهِهِمْ وَأَعْنَاقِهِم وَتَتَمَرْأَى فِيهِ كَأَنَّكَ تَتَمَرْأَى فِي مَاء عَالمٍ جَدِيد وَتَرَى إِلَى طُيُورِ البَحْرِ تَتَكَتَّبُ وَتَهْجُمُ تُرِيدُ أَنْ تُشَارِكَ فِي هَذِهِ الضجَّةِ الخَالِقَة وَتُنْسِيكَ طَلاَسِمُ التِّقْنِيَةِ الَّتِي تَكْتُبُ المَدِينَة طَلاَسِمَ كُنْتَ تَتَوَسَّلُهَا فِي طُفُولَتِكَ لِتَقْرَأَ الغَيْبَ

... / وَأَخَذَتْ عَدَن تَتَرَاءَى قَصِيدَةً لَمْ تُكْتَب وَكَانَ رَامْبُو قَدْ حَاوَلَ، ـ اسْتَخْرَجَ حِبْراً آخَرَ مِنْ كِيمِيَائِهَا، لَكِنْ خَانَتْهُ كِيمِيَاء العَصْر.

3

أَتَحَدَّثُ مَعَ عَدَنٍ وَتُوحِي إِلَيَّ صَنْعَاء تَسِيرُ مَعَكَ الأُولَى وَتُقْبِل
إِلَيْكَ الثَّانِيَة فِيمَا تَجْلِسُ حَوْلَهُمَا الجِبَالُ كَمثلِ شُهُبٍ هَدَّهَا السَّيْرُ.

صَنْعَاءُ، ـ تسنُدُنِي أَشْجَارُ السِّدْر تُظَلِّلُنِي أَشْجَارُ
العَرْعَر تَحضنني بُيُوتٌ أَعْشَاشٌ تُوَاكِبُنِي مدَرَّجَاتٌ
سَلاَلِمُ وَحِينَ أَنْخَفِضُ فِي تِهَامَةَ وَأَلْتَبِسُ بِعُشْبِ الأَقَالِيم
تَتَخَطَّفنِي نَبَاتَاتٌ تَتَآلفُ مَعَ الصَّخْرِ وَنَبَاتَاتٌ تَعشقُ الملُوحَة
وَتَنْفَجِرُ أَمَامِيَ الأَوْدِيَةُ حُقُولاً فَيْضِيَّةً ـ وَهَا هِيَ المِيَاهُ أُمَّهَاتٌ
يُرْضِعْنَ النَّخِيلَ وَالأَثْلَ الأَرَاك والطَّلْحَ وَيُرْضِعْنَ حَشَائِشَ
لاَتَفْقَهُهَا اللُّغَة

صَنْعَـــاءُ، ـ أَسْتَسْلِمُ لِمُهْرَة الحِبْرِ وَأُلْقِي رَأْسِي عَلَى خَـــاصِرَةِ أَحْلاَمِهَا : هَلْ أَهْمِسُ لِبَلْقِيس أَنْ تكْسِرَ عَقْرَبَ الوَقْتِ ؟ هَلْ الـذَّاكِرَةُ بلْقِيسُ هَـلْ بلْقِيس النّسْيَـان ؟ هَـلْ بَلْقِيسُ نَجْمَـةُ العَصَب هَلْ هِيَ أَنِينُ القَصَب ؟ هَلْ هِيَ الضَّوْءُ تُفْرِزُهُ شَمْسٌ لاَتَتْرُكُ أَثَراً لِخُطُوَاتِهَا ؟ هَلْ هِيَ الحَنَانُ يَدْفُقُ عَـارِيـاً وَأَعْزِلُ كَمَـاء الينَابِيع ؟ هَلْ هِيَ المنْجَلُ يَحْصُدُ الظَّلاَم ؟ السُّؤَال يجمَح وَلاَ أعْرِفُ كَيْفَ أُرَوِّضُهُ

لِي فِي تُرَاب اليَمَن عِرْقٌ مَا،
وَالْخَرِيفُ الـذِي يَتَسَـاقَـطُ مِنْ أَعْضَـائِي وَرَقٌ يَكْتُبُـهُ مَهَبُّ المَرَارَات يَتَسَاقَطُ فِي خَيْطٍ يَجِيءُ مِنْ جَنَائِنَ عُلِّقَتْ بِقَدَمَيْ كَـوْكَبٍ تَـائِـهٍ جَنَـائِن تَنْعَكِـسُ فِيهَـا الفُصُـولُ وَتَعُـومُ أَشْـلاَءُ النَّهَـارِ وَاللَّيْلِ جَنَـائِنُ أَجْهَـدُ فِيهَـا أَنْ أُعَرِّيَ الرَّقِيمَ وَالكَهْف
أَنْ أُلاَمِسَ نَصْلَ اللَّقَـاح حَيْثُ يَرْقُـدُ غُبَـارُ الطَّلـع أَجْهَـدُ أَنْ أَكْتَشِفَ وَحْـدَةَ الشّفَـاه بَيْنَ الزَّهْر والنَّحْـل وَأَنْ أَنْقُشَ الجَـانِبَ الآخَرَ مِنْ عُمْلَةِ السرّ

لِي فِي تُرَاب اليَمَن عِرْقٌ مَا،
هَلْ يُجْدِي هَذَا الجَيْشُ الَّـذِي أَتَقَـدَّمُـهُ فِي جَبِينِ هَـذِهِ اللَّيْلَـةِ حَيْثُ
يَخْرُجُ طَائِرُ الرِّغْبَـة نَحْوَ سَمْتٍ مِنَ السَّرْخَسِ وَدوَّار الشَّمْسِ ؟
هَلْ يُجْدِي ذَلِكَ الحُزْنُ الَّذِي أصْقُلُ صَفَائِحه بِأَهْدَابِي ؟ خَيْرٌ لِي أَنْ
أَتَـوَتّرَ قَـوْسـاً لِسَهْمٍ أَحْتَـارُ فِيـهِ مِنْ أَيْنَ وَكَيْفَ خَيْرٌ لِي أَنْ
أَرْسُمَ خَرِيطَـةَ أَحْشَـائِي وَأَتَنَقَّـلَ بَيْنَ تُخُـومِهَـا فِي هَـذَيَـانٍ أُهَنْـدِسُ
عَمَارَاتِهِ وَأَفْرِضُ عَلَيْهَا ضَرِيبَةَ المَفَاتِيح

هَكَذَا أُطْعِمُ كَائِنَـاتِي خُبْزاً آخَرَ وَأُغَيِّر آدَابَ المَـائِـدَة وَحِينَ
يَجْلِسُ الـزَّمَنُ إِلَيْهَـا أُعَـدِّلُ جِلْسَتَـهُ مَـاسِحـاً كَتِفَيْـهِ بِحَنَـانِ شَيْخٍ
يَمُوتُ ثُمَّ أَمْلأُ الكُؤُوسَ بِخَمْرَةِ الفَجِيعَة وَأُنَادِمِ الرَّفْض

لِي فِي تُرَاب اليَمَنِ عِرْقٌ مَا،
أَقْـدَامُ حَـدِيـدٍ تَسْقُفُ المَكَـانَ نِسَـاءٌ يَنْقُشْنَ قُبُـلاَتهنّ عَلَى
شَفَتَيْ عَصْرٍ يَتَغَطَّى بِالإِسْمَنتْ
لَيْسَ لِـذِي يَـزَنٍ إلاَّ أَنْ يُغَـالِبَ أَسْـوَاراً
يُحْتَضَرُ وَرَاءَهَـا الأَسْرَى وَإلاَّ أَنْ يَسْتَطلـعَ الـدُّرُوبَ فِي آثَـارِ
خُطُوَاتِهم لَيْسَ لَهُ إلاَّ أَنْ يُكَرِّرَ قِرَاءَاتِهِ لأَبْجَدِيَّة الغُبَار

صَنْعَاءُ، ـ نَوَافِذُ بِلُطْفِ الطُّفُولَةِ مَمَرَّاتٌ كَأَنَّهَا الكِتَـابَـةُ
وَبَيْنَ الخَطِّ وَالخَطِّ فَوَاصِلُ وَحَرَكَاتٌ تُوَشْوِشُ، ـ
لِلْقَنَاطِرِ خُيُولٌ وَهَذَا القَوْسُ حَاجِبَانِ وَثَمّـةَ أَقْمَـارٌ تَقْفِزُ
مِنْ أَعَالِي البُيُوتِ وَمِنْ أَطْرَافِ المَآذِنِ يَنْكَسِرُ شُعَـاعُهَـا وَيَلْتَئِمُ
غَلاَئِلَ وَعَبَاءَاتٍ
وَفِي الأَزِقَّةِ المَرْصُوفَـةِ بِـأَسْنَـانِ تَـارِيخٍ شيخٍ كُنْتُ أَتَخَيَّلُ وَقْعَ
قَدَمَيَّ مَمْلُوءاً بِأَشْبَاحٍ لَهُنَّ هَيْئَةُ الكَوَاكِب.

4

- «حَقّ العشْرين بعَشْرَه، يَـابَلاَشْ يَـابَلاَشْ» / يُكَرّر طِفْلٌ نِـدَاءَاتِـه
يَسْحَبُ خُيُوطَ صَوْتِـهِ بَيْنَ سُـوق البَـزّ وَسُـوق النُّحَـاس فِيمَـا يَرْفَـعُ مِرآتَـهُ
الصَّغِيرَةَ فِي اتِّجَـاهِ شَمْسٍ تَتَسَكَّعُ بَيْنَ الأَرْجُـلِ وَفِي أَرِيـجٍ مِنَ
البَهَارَات تَتَشَابَـكُ الأَسْوَاقُ أَوْرِدَةً وَشَرَايِينَ فِي هَـذَا الجِسْمِ الـذِي لَيْسَ مِنْ
وَاقِعٍ وَلاَ حُلْمٍ

صَنْعَاءُ، ـ آخـذُكِ بَيْنَ ذِرَاعيَّ نَمْشِي مَعَ رِجَـالٍ يَرْفَعُونَ
النَّهَـارَ مظِلَّـةَ أَحْـزَانٍ مَـعَ نِسَـاءٍ يَحْمِلْنَ عَلَى أَكْتَـافِهِنَّ
هُمُـومـاً بِلَـوْنِ الـزَّبِيبِ وَلَيْسَ لأَقْـدَامِهِنَّ إلاَّ شَهْـوَةٌ
وَاحِدَة : أَنْ تقبِّلهَا الرِّيح

قَنَـادِيلُ وَجَـامِعُ أَرْوَى يَتَّكِئُ عَلَى رِيَـاضِيَّـاتِ سَبَـأ
قَنَادِيلُ انْطَفَأَتْ وَلَهَـا شَرَارَةُ الوَحْي أَقْرَأُ أَسْرَارَهَـا مَتْنـاً
مَتْنـاً وَأُرْجِئُ الهَـوَامِشَ وَالتَّفَـاصِيـلَ ثمَّـةَ عَصْفٌ
مَا وَأَسْأَلُكِ أَيَّتُهَا القَنَادِيلُ أَيْنَ السَّاهِرُونَ وَمَنْ يُمْسِـكُ
بِالزِّنَاد ؟

أَوَّلُ السُّوق / مَهْلاً ـ لَيْسَ هَـذَا مَـاءً بَـلْ دَمٌ لَيْسَ هَـذَا جِـدَاراً بَـلْ
العَمُودُ الفِقَرِيّ لِرَجُلٍ قَالَ مَرَّةً كَلاّ
آخِرُ السُّوقِ / امْرَأَةٌ كَوْكَبٌ آبنوسِيٌّ يَسْبَحُ فِي أَثِير للتنهُّدَات
ـ «أَلَنْ نَلْتَقِي بَعْدُ ؟»

تَرَكْتُ اللَّيْلَ يَنَـامُ عَلَى عَتَبَـةِ بَيْتِهَـا فِيمَـا كَـانَت نَجْمَـةٌ تَتَهَيَّـأُ لِكَيْ
تَقْتَحِمَ غُرْفَتِي وَتقْرَأَ جَسَدَهَا عَلَيَّ
وَكَانَتِ الأَسْوَاقُ تَهْدِرُ وَتَتَمَوَّجُ فِيمَا كُنْتُ أَسْتَعِيد قَوْلَ الهَمَدَانِيّ :
« لاَ تَلْحَقُ بِحَسْنَاء صَنْعَاءَ امْرَأَةٌ مِنَ العَالَم ».

أَتَحَدَّثُ مَعَ صَنْعَاءَ وَأَتَجَوَّلُ فِي عَدَن،
صَيَّادُونَ يَرْسُمُونَ ظِلاَلَهُمْ عَلَى البَحْرِ حَضَرٌ وَبَدَاةٌ يَسْتَنْطِقُونَ
جَسَدَ المَادَّة وَيَرْجُونَ ذَاكِرَةَ الشَّوَاطِئ تَنْفُرُ أَحْلاَمُهُم أَحْصِنَـةً
تصْهلُ، ـ

فَرَسُ شَهْوَةٍ

شُعَـاعُـكَ أَيُّهَـا التَّـارِيـخ وَقِشْرَتُـكَ تُعَـاكِسُ شَهَـوَاتِنَـا لَكِنَّ
سِلاَحَـكَ صَـدَأ وَنَحْنُ صَوَّانُ الرَّغَبَـات نَخْتَـارُكَ أَيُّهَـا الصَّوَّان
بَيْنَ مُلْـكِ الصَّحْرَاء بِـكَ تَـسَمَّيْنَـا انْشِقَـاقـاً بِـكَ
فَكَّكْنَا بِكَ تَمَاسَكْنَا وَالتَحَمْنَا وَأَنْتَ فِينَا شَقِيقٌ لِلْمَاء
(الصّوانُ مَاءٌ جَامِدٌ المَاءُ صوَّانٌ سائِل)

أَقُولُ عَدَنٌ وَصَنْعَاءُ وَأُضْمِرُ هَذَا المرَكّبَ ـ المَهْد /
«... نَحْنُ آسِيَـا وَأَفْرِيقِيَـا مَغْسُولَتَيْنِ بِمَـاء المُـسْتَقْبَل مَكْسُوَّتَيْنِ بِـعَفِ
البِدَايَات وَلَسْنَا مِنْ عَصْرِ المَعْدِن بَلْ مِنْ عَصْرِ الإِنْسَان »

أَقُولُ عَدَنٌ وَصَنْعَاءُ وَأَعْنِي هَذَا المرَكّب ـ المهد /
ـ كَيْفَ لِغُمْدَانَ أَنْ يظَلَّ شَابّاً مُنْذُ آلافِ السَّنَوات ؟
ـ كَيْفَ أَجِيبُ وَأَنَا «حَصَّنْتُ غُمْدَانَ بِمُبهَمَات ؟» (إِكْلِيل الهَمَدَانِي)

صَنْعَاءُ ـ مِنْ هُنَيْهَةٍ رَأَيْتُـكِ فِي صُورَةٍ وَالآنَ تَتَحَوَّلِينَ أَنْتِ الثَّوبَ
يَغْتَوِي وَيُرْتَقُ بِرَقَّةِ الهُدْبِ وَمَا أَغْرَبَ الخَلِيـطَ الـذِي يُنْسَجُ هَـذِهِ اللَّحْظَـة /

سُوق الحَرِير، ـ

امْرَأَةٌ مِن جِنّ سَبَأ ثَوْبُهَا تَعْرِيشُ بَطرٍ وَتَخْرِيمُ

شَهَوَاتٍ حَافِيَةٌ وَكُمَّاهَا طَائِرَان

لَوْحٌ : « أَبْكَارُ النِّسَاء كَإِنَاثِ الخَيْل

لاَ يَسْمَحْنَ إلاَّ عَنْ صَهِيلٍ وَمُغَالَبة»

(بلقِيس)

سُوق الحَبّ، ـ

نَقْشٌ : « هَذَا العَالَمُ لاَ يَحْلُو فِي عَيْنِي

وَمَا لاَ يَحْلُو فِي العَيْنِ لاَ يَحْلُو فِي الفَمِ ».

سُوق الذَّهَب، ـ

لَـوْحٌ : « كلّ قَرِيبٍ شَاسِعٌ »

نَقْشٌ : « يَزْهَدُ العَاقِلُ كَأَنّهُ المَوْت

وَيَعْمَـلُ كَأَنَّـهُ الأَبَـدُ ».

سُوق الفِضَّة، ـ

نَقْشٌ : « يُوقِنُ الصَّائِغُ لِيُصْلِحَ نَفْسَهُ

وَيُتْقِنُ لِيُصْلِحَ الدُّنْيَا ».

سُوق القَات، ـ

رُقْعَة : « تُدْرِكُ يَدَايَ مَا لاَ تَرَاهُ عَيْنَايَ ».

سُوق العَطَّارَة، ـ

رُقْعَة : « يَذْهَبُ عَنِّي مَا أُرِيدُ وَيَأْتِينِي مَا لاَ أُرِيدُ »

سُوق الزَّبِيب، ـ

نَقْشٌ : « أَنَا رَاعِي الحَيّ فَإِذَا سَكرتُ ضَاع ».

سُوق الحَنَّاء، ـ

لَوْحٌ : « مَا لَوْنُ الربّ ؟ »

(بِلْقِيس

لِي فِي تُرَاب اليَمَن عِرْقٌ مَا،
أَهْبِطُ مَعَهَا إِلَى البِدَايَات كَيْ أُحْسِنَ اكتِشَافَ مَا يَأْتِي
شَقَائِقُ نُعْمَانٍ
سِلاَلُ عِنَبٍ تَنْهَضُ مِنْ أَسِرَّةِ التِّلاَلِ نَهْدَانِ يَسْتَعْجِلاَنِ القِطَاف
وَوَرَاءهمَا يَتَفَتَّتُ فَخَّارُ الأَزْمِنَة شُكْراً لِلْحَيَاة وَلَيْلِهَا
المُزْدَوِجِ شُكْراً لِحِكْمَةِ صوَّانٍ يَسْتَوْهِمُ أَنَّهُ صَدِيقِي
وَأَنْتِ حَاذِرِي أَنْ تَبْتَرِدِي ـ أُغَطِّيكِ يَا أَسْرَارِي

صَنْعَاءُ، ـ حَقاً تُقِلُّنِي الرِّيح أَتَعَلَّمُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَمَنْطِقَ كُلّ شَيْءٍ
تَسِيرُ مَعِي الجِبَالُ وَتَجْلِسُ وَرَائِيَ الجِنّ.

5

« نُونْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُون »

« تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ
دَمُّون إِنَّا معشَرٌ يَمَانُونْ
وَإِنَّنَا لأَهْلِنَا مُحِبُّونْ » /

اهْبطْ، أَيُّهَا الشَّاعِرُ، إِلَى الكَثِيب
الأَحْمَر فِي أَسْفَلِ وَادِي الأَحْقَافِ، وَاسْأَلْ قَبْرَ هُود : مَنْ أَنْتَ، وَمِنْ أَيْن ؟

إيل / عَلِي

أُقْسِمُ بِهَذَا الوَادِي، كُنْتُ أَسْتَطِيعُ مُتَوَكِّلاً عَلَى امْرِئِ القَيْس، أَنْ أَتَسَلَّقَ الفَضَاءَ وَأَنْ أَخْتَرِقَهُ،
وَلَسْتُ سَاحِراً وَلاَ أَدَّعِي النبُوَّة.

كَانَتْ أَطْرَافِي قَدْ امْتَلأَتْ بِلَيْلِ حَضرمَوْت، وَازَّينَتْ حَوَاسِّي
وكُنْتُ اسْتَيْقَنْتُ أَنَّ اللَّيْلَ فِيهَا لَيْسَ مَغِيباً لِلشَّمْسِ وَأَنَّ السَّمَاءَ
فَوْقَهَا لَيْسَتْ قُبَّةَ الأَرْضِ بَلْ ثَوْبَهَا الَّذِي يَلْتَصِقُ بِجَسَدِهَا -

سِين ذَات حَمِيم عَشْتَر

(يَا لَلْجَسَدِ ـ هَادِراً بِنَشِيدِ الْبِدَايَاتِ
لاَ تَتَّسِعُ لِخُطْوَاتِهِ سَاحَةُ الوَقْتِ،
يَا لَلْجَسَدِ مَوْجاً يُزَحْزِحُ شطْآنَ التَّارِيخ)؛

إِنَّهَا النُّجُومُ تَهْبِطُ إِلَيَّ،
وَهَا أَنَا أَتَشَرَّدُ مَعَهَا
يَحْرِسُنِي التُّرَاب نَفْسُهُ،
وَسِلاَحُهُ الخَطّ المُسْنَدُ، وَالنُّقُوشُ، والتَّمَاثِيلُ،

وَفِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ كِنْدَةَ يُدَنْدِنُ امرؤُ القَيْس
شفتَاكِ، فَاطِمُ، عَسَلٌ دَوْعن
نَهْدَاكِ تَمْرٌ مَدِينِيّ

وَظَنِّي أَنّ هَذَا المَدَى الذِي يَنْسجُهُ المَدَرُ قَدْ فَهِم طِينَتِي
وَأَنْتِ، يَافَاطِم، سَأُسَمِّيكِ فِي هَذَا الوَادِي
بِاسْمٍ تَجْهَلُهُ الشِّفَاهُ
وَأَنْتَ، يَاجَسَدِي، سَأَكْتُبُ بِالخَطِّ المُسْنَدِ رَسَائِلَ شَوْقِكَ إِلَى المَعْنَى.

اهْبطْ أَيُّهَا الشَّاعِر
الفَضَاء بَيْتٌ تَسْقفُهُ أَحْلاَم النِّسَاء
وَالقَمَرُ يَتَسَلَّقُ الجُدْرَان،
وَيُوَصْوِص مِنَ النَّوَافِد ، -

وَهَا هِيَ الأَزِقَّةُ وَالحُقُولُ تَسْهَرُ كَمِثْلِ الكتُبِ التِي تخْتَصر الطَّبِيعَة.

سَيؤُون تَرِيم شِيبَام

أَبْوَاقٌ مِنْ عَالَمٍ آخَرَ تَصْدحُ تَحِيَّةً لِلْعَنَاصِرِ
الأَيَّامُ تَنْزِلُ عَلَى سَلاَلِمهَا كَمثلِ الأَطْفَالِ،
وَمُنْذُ أَنْ تَصِلَ الشَّمْسُ إِلَيْهَا،
تَجْلِسُ عَلَى عَتَبَاتِهَا وَتَتَنَهَّدُ كَأَنَّهَا لاَ تُرِيدُ أَنْ تَنْهَضَ

اهْبِطْ أَيُّهَا الشَّاعِرُ، -
أَظُنّ أَنّ ذَاكِرَتِي تَسِيلُ فِي وَادِي الأَحْقَافِ
أَظُنُّ أَنَّ الزَّمَنَ يَنْكَسِرُ بَيْنَ يَدَيَّ كَمِثْلِ قَضِيبٍ يَابِسٍ
أَظُنّ أَنّ الجِبَالَ التِي تُظَلِّلُ أَحْمَد بْنَ عِيسَى المُهَاجِر، جَاءَت تُشَارِكُنَا
الـدَّانَ فِي فُنْـدُق سَيـؤُون، ذَلِـكَ المَسَـاء، وَتَرْقُصُ فِي طَرَبٍ شِبْـه
صوفِيّ،

أَظُنّ أَنَّنِي قُلْتُ : لاَ شَكّ أَنَّنِي سَلِيلُ مُوسِيقَى خَرَجَتْ مَرَّةً
مِنْ حُنْجَرَةِ السَّمَاء، ثُمّ آثَرَتْ ألاَّ تَعُود
ـ أيّتُهَا المُوسِيقَى،
أَهْلاً بِكِ عَلَى هَذِهِ الأَرْض، فِي دَارِ هِجْرَتِنَا الدَّائِمَة.

وَالآنَ،

جَاءَتِ الشّفَافِيَة تَحْمِلُنِي وَتَتَعَالَى أَقْدِرُ أَنْ أَتَحَوَّلَ أن
أَتَمَاهَى وَمِثْلَمَا كُنْتُ الطِّيعَ أَقْدِرُ الآنَ أَنْ أَكُونَ الآمِر أَقُولُ
لِكُلِّ طِينَةٍكُونِي صُورَةً لِكُلِّ صُورَةٍ تَكَوَّنِي أُعْطِي لِلأَشْيَاء
حَرَكَاتِي وَأَهْوَائِي يَمْتَلِئُ كُلّ شَيْءٍ بِضِيَاءِ هَذِهِالخَلِيقَةِ وَأَكُونُ
قَدْ عَرَّيْتُ الزَّمَنَ /

رَمَيْتُ ثِيَابَهُ الحِجَازِيّة فِي خِزَانَة بِلْقِيس
وَنَثَرْتُ أَيَّامَه النّجْدية فِي مَأْرِبَ وَمَا حَوْلَهَا
وَأَكُونُ قَدْ أَجْرَيْتُ عَلَيْهِ مَاءَ تَكْوِينٍ آخَرَ،
وَكَسَوْتُهُ بِأَنْفَاسِ لُغَةٍ ثَانِيَةٍ ـ

هَكَذَا أَتَكَلَّمُ بِطَرِيقَةٍ تُجَسِّدُ

أَصْـدِقَـائِي شُعَرَاءَ الْجَـاهِلِيَـةِ (أَقْصِـدُ شُعَرَاءَ البَصِيرَةِ والهُيَـامِ والرَّغْبَةِ) أَقُولُ لِكَلِمَاتِي أَنْ تَنْتَشِيَ فِي مَكَـانِهَـا بَيْنَ شَفَتَيَّ وَهَـذَا الضَّوْءِ الـذِي يَجِيئُهَـا مِنْ أَشْيَـاءِ الوَاقِعِ أُغْرِيهَـا بِـالسَّفَرِ فِي وَحْشِيَّةِ سُقُوطٍ لَيْسَ إلاَّ صُعُوداً آخَر

حَيْثُ نَرَى لِلرَّغْبَةِ جَسَداً يُولَدُ فِي الجَسَد
حَيْثُ نقـدر وَرَاءَ كَـلّ حِجَـابٍ أَنْ نُحَيِّي امرؤ القَيْسِ،
وَنَسْتَشِفّ عُمَرِ بْنَ أَبِي رَبِيعَة،
وَحَيْثُ نَسْمَعُ الحَجَرَ وَالمَاءَ يَتَحَدَّثَانِ دَائِماً عَنْ يُوسُفَ وَامْرَأَةِ العَزِيزِ، -

« نُونْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُون »

« تَطَـاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَـا دَمُّـونْ
دَمُّـونْ إِنَّـا معشَرٌ يَمَـانُـونْ
وَإِنَّنَـا لأَهْلِنَـا مُحِبُّـونْ » /

سَلاَماً حضرَمُوت -

أَيَّتُهَا العَيْنَان السَّوْدَاوَان فِي هَذَا الرَّأسِ الأَزْرَقِ الذِي سُمِّي السَّمَاء،
أَيَّتُهَا المَرْأَةُ التِي تَغْتَسِلُ بِعَسَل دَوْعن،
حِزَامُهَا بَحْرُ العَرَب
وَخَلْخَالُهَا المَوْج.

6

... / إنَّهَا سَاعَةُ المَقِيل، ـ أَرْبِطُ مُخَيِّلَتِي بِتِلْكَ الخضرَة وَأُخْلِي جِسْميَ مِن دَبيبِ الهَوَاجِس
مَاذَا ؟ فِي قَرَارَتِي وَخْزٌ
«نَاسٌ يَأكُلُ بَعْضَهُمْ بَعْضاً ثَمَنُ الرَّأْس مَنْدِيل وَلاَ شَيْءَ
إلاَّ السِّلاَحُ وَالصِّياحُ» /
هَلْ أَجِيءُ مِنْ دَاءٍ لا يَشْفَى ؟

وَخُيِّلَ إليَّ أَنِّني أَسْمَعُ صَوْتاً يلفظهُ قَيْءُالصَّحْرَاء يَتَحَدَّثُ عَنْ قَمَرٍ صِنَاعِيّ اسْتَقَالَ مِنَ الجَاذِبِيّة عَنْ مسْتَوْصَفَاتٍ لِلنِّسَاء الآلِيّات عَنْ فَنَادِقَ لِلْكِلاَبِ وَأَعْرَاسٍ لِلْقِطَطِ
وَتَرَاءَتْ لِي جُذُوعٌ بَشَرِيَّةٌ مَبْتُورَةٌ تَلْتَئِمُ حَوْلِي تَارَةً وَتَتَمَزَّقُ تَارَةً فِي أَحْشَائِي وَكُنْتُ كَمَنْ يَسْبَحُ فِي شَرْقٍ تَثْقُبُهُ بُحَيْرَاتُ الدَّمِ
وَشُبِّهَ لِي أَنَّنِي فِي مهْرَجَان أَعْنَاقٍ تَحْتَفِلُ بِذَبْحِهَا دُونَ أَنْ تَدْرِي
وَتَمْتَمْتُ : أَنْ تَكْتُبَ هُوَ أَنْ تُهَرِّبَ الكَلاَم /

لَنْ تُغْرِيَنِي أَيُّهَـا المَـلاَكُ وَلِلشَّيْطَـانُ أعْقَـلُ مِنْ أَنْ
يُوَسْوِسَ إِلَيَّ عَيْنَايَ تَفرَّانِ إِلَى الأَمَامِ وَقَدَمَايَ نَشْوَةً
وَرَقْص الإِيقَـاعَ الإِيقَـاعَ وَلْنَرْقُصْ فَـوْقَ
رَمَادِ هَذِهِ الأَزْمِنَة

هَكَـذَا ذَهَبْتُ مَعَ ظَنِّي الجَمِيلِ فجْـأَةً رَأَيْتُنِي أَسْتَسْلِمُ لأَلَـقِ لَحْظَـةٍ
تَنْضَـحُ بِرَائِحَـةِ عُـودٍ يُـؤَاخِي بَيْنَ النِّسْيَـانِ وَالـذِّكْرَى وَأُصْغِي إِلَى حَكِيمٍ
يُمْلِي -

- « كَـلاَّ، لَنْ تَجِـدَ الطَّبِيعَـةُ زُهُـوراً جَـدِيـدَةً إِلاَّ فِي
جِرَاحِنَـا كَـلاَّ لَنْ يَحْظَى تَـارِيخُنَـا بِنَبْضِـهِ إِلاَّ فِي
مَنْفَانَا ».

وَحَسِبْتُ أَنّ آسِيـا العَجُـوز تَجْلِسُ فِي رِوَاقِ أَرْوَى
والفُصُولَ تَتَبَادَلُ قُمْصَانَهَا بَيْنَ ذِي يَزَنٍ وَعَشْتَار.

.../ إنَّهَا سَاعَةُ المَقيل، -

أَيَّتُهَا الإيقَاعَاتُ الطَّالِعَةُ مِنَ الأَوَائِل أَمْتَزِجُ بِك وَأُضِيفُ بَصِيرَتِي
إلَيْكِ أَتْرُكُ لأَوْتَارِي أَنْ تَصْهَرَكِ طِينَةً ثَانِيَةً وَمِنْ هَذَا الرِّوَاقِ
الَّذِي نَرْعَاهُ أُصْدِقَائِي وَأَنَا نَكْتُبُ لِتِلْكَ الجِهَةِ
المَطْمُوسَةِ مِنْ عُرُوبَةِ القَلْبِ لأُولَئِكَ المَسْحُوقِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ
يَتَقَاسَمُونَ الرَّغِيفَ لأُولَئِكَ التَّائِهِينَ يَسْقُطُونَ وَهُمْ يَتَشَبَّثُونَ
بِالأَعَالِي يُشَارِكُونَ الحُقُولَ كَآبَةَ الجَدْبِ وَيُصَادِقُونَ
الهَوَاءَ لأُولَئِكَ المَنْبُوذِينَ يَنْتَعِلُونَ الأَوْدِيَةَ وَيَلْتَحِفُونَ الجِبَالَ

... / إنَّهَا سَاعَةُ المَقيل، -

تَنْهَضُ فِي قَصَائِدِنَا أَبْوَابٌ وَشُرُفَات نَكْتَشِفُ زَوَايَا مِنْ جَسَدٍ
صَنْعَاء لاَ تَزَالُ عَصِيَّةً عَلَى الصُّورِ نَسْمَعُ كَلِمَاتٍ فِي حُنْجُرَةِ
عَدَنٍ لاَ شَوَاطِىءَ لَهَا
- بِلاَدٌ نَاقَةٌ تَرْعَى أَعْشَابَ الفِقْه /
الصَّحْرَاء تَابُوتٌ يَتَنَقَّلُ عَلَى رُؤُوسِنَا وَاللُّغَةُ بَبَّغَاءُ فِي قَفَصِ
الرُّعْبِ

ـ كَيْفَ نَخْتَرِقُ هَذَا الرَّبْعَ الخَالِي ؟ أَيْنَ لُقْمَانُ وَحِكْمَتُهُ ؟ هَلْ عَلَيْنَا أَنْ نجْدِلَ شَعْرَ السَّمَاءِ أَعِنَّةً لِخُيُولنَا ؟ أَنْ نَصْرخَ بِالنُّجُومِ مُدّي أَيْدِيَكِ إِلَيْنَا ؟ هَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَشُقَّ القَمَر ؟

ـ مِنْ أَيْنَ لِنَمْلَةٍ أَنْ تُغْرِيَ نَسْراً ؟

ـ تُنَاضِلُ كَمن يُقَاتِلُ الغُبَار كَمن يَكْتُبُ أَبْجَدِيَّةَ الرَّمْلِ

كَمن يَرْضع ثَدْيَ الحَجَرِ

ـ الْوَطَنُ فُرْنٌ يُطْبَخُ فِيهِ مَنْ يَجِيءُ لإِيلاَفِ مَنْ يَرُوح

ـ لَيْتَ السَّمَاءَ تَمْرٌ إِذَنْ كُنَّا أَكَلْنَاهُ وَاسْتَرَحْنَا

ـ مَا أَنْتِ وَمَنْ أَيَّتُهَا الشَّجَرَة ؟

ـ رُبَّمَا كُنْتُ حَبْلَ سُرَّةٍ بَيْنَ رَحِمِ اليَأْسِ وَسَرِير الغِبْطَة رُبَّمَا

كُنْتُ لُغَةً يَلُوذُ بِهَا الحَيّ فِي حِوَارِهِ مَعَ المَيِّتِ رُبَّمَا كُنْتُ

لَوْناً يُوَحِّدُ بَيْنَ قَوْسِ قُزَحٍ وَقَوْسِ الأَيَّامِ رُبَّمَا كُنْتُ إِكْسِيراً

يَتْرُكُ لِكُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَسْبَحَ فِي شِعْرِهِ الخَاصّ

ـ إذَنْ مَا شَكْوَاكَ أَيُّهَا القَاتُ الصَّامِتُ ؟
ـ ... أَنّ صَدِيقِي الوَقْتَ أَقَلُّ اخْضِرَاراً مِنِّي /

هَكَذَا نَسْتَنْبِتُ قَاتاً آخَرَ لاَ مِنَ الأَرْضِ
لاَ مِنَ النَّبَاتِ بَلْ مِنَ الصَّبْوَةِ وَانْفِجَارَاتِهَا، ـ

نَشْوَةٌ : حِينَ تَأسرُكَ العَاصِفَةُ اسْتَسْلِمْ،
لَكِنْ كُنِ الوَتَرَ الَّذِي يَعْزِفُ الرِّيحَ،

حِكْمَةٌ : الغبَارُ حِكْمَةُ اليَدِ وَالعَتَبَةُ غَرِيزَةُ القَدَم.

أُمْثُولَة : أَرْضَعَتِ الشَّمْسُ عَدَناً وَنَسَجَتْ لَهَا غَلاَئِلَ لاَتخْرِقُهَا أَظَافِرُ الدَّهْرِ.

شَطْحَةٌ : النُّجُومُ فِي صَنْعَاءَ قَطِيعٌ
وَالْقَمَرُ رَاعٍ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاهُ وَرَاءَ سِيَاجِ الفَضَاء.

مُكَاشَفَة : لِكَيْ لاَتَتَعَثَّرَ فِي طَرِيقِكَ أَوْ تَسْقُطَ
قُلْ لِقَلْبِكَ أَنْ يَتَرَجَّلَ وَيَمْشِيَ أَمَامَكَ

لِي فِي تُرَابَ اليَمَنِ عِرْقٌ مَا /
مِنْ أَجْلِ شَوَارِعَ تَرْتَسِمُ شَامَاتٍ فِي وَجْهِ النَّهَارِ
مِنْ أَجْلِ لَيْلٍ يَلْبسُ النُّجُومَ قَلاَئِدَ وَأَقْرَاطاً
مِنْ أَجْلِ أَرَاغِنَ تَضْحَك وَتَبْكِي فِي سِرِيرَةِ كُلّ شَيْء
مِنْ أَجْلِ غَرَابَةٍ تُهَيْمِنُ عَلَى أَحْشَائِي
مِنْ أَجْلِ أَيْدٍ تَنْسُجُ البُكَاءَ خِيَاماً لِلْحُلْم
مِنْ أَجْلِ مَجْهُولٍ أَنْغَرِسُ فِيهِ وَتَنْغَرِسُ أُرُومَة الخَلْقِ
أَقُولُ فِي تَرَاب اليَمَنِ
لِي عِرْقٌ مَا،
وَأَنْتَمِي إِلَيْهِ
بَلَداً بَلاَ عُمُرٍ
كَأَنَّهُ وَجْهُ الله.

هَكَذَا نَنْضجُ فِي خَـابِيـةِ الزَّمَنِ يَكْتُبُ دَمُنَـا مَـا لاَتقـدر أَنْ تَمْحُوهُ
أَيْـدِينَـا وَكَيْفَ أَكُـونُ الْمُفْرَدَ وَمَـا أَنَـا إِنْ لَمْ أَلْبس الشُّخُـوصَ
كلّهم إِنْ لَمْ أَكُنْ هَذَا الجَمْعَ ؟ انظُرُوا إِلَى الْمَشْهَدِ يَتَحَرَّكُ فِيهِ
الخَلِيفَةُ وَالإِمَام القَاضِي وَالفَقِيهُ الْمُشَرِّعُ وَالشُّرَطِيّ الأَمِيرُ وَالْجُنْدِيّ
أَعْنِي يَتَحَرَّكُ الْمُتَمَرِّدُ وَالْمُرْتَدّ الثَّائِرُ وَالعَاشِقُ الخَارِجُ
وَالشَّاعِرُ الصَّعْلُوكُ وَالفَارِسُ
وَبَيْنَ سَـوْرَةِ القَلْبِ تَتَفَطَّرُ شِعْراً وَسَوْرَةِ الذِّهْنِ تَتَلأْلأُ نظراً
أَكْتُبُ وَأُعْلِنُ : كِتَابَتِي غِوَايَةٌ، ـ وَأُكَرِّر : لَسْتُ الجَوْهَرَ لَسْتُ النَّوْعَ
النّقِيّ أَنَـا جَوَاهِرُ وَأَنْوَاعٌ مَـزِيـجُ قَمَرٍ وَشَمْسٍ فِي
لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ
وَ «حِينَ أَضْحَكُ
أَضْحَكُ لِكَيْ أَنْفَصِل بِفَرَحٍ عَنِ الْمَاضِي» (مَارْكس)
مُعْلِناً حَقِّي فِي أَنْ أَكُونَ مُتَنَاقِضاً (مَنْطِقِي أَكْثَرُ شُمُولاً مَنْ مَنْطِقِكُم
الظَّاهِرِيِّ)

وَأَنْتَ أَيُّهَا الطُّوفَانُ يَاصَدِيقِي تَقَدَّمْ

هَكَذَا نَنْضُجُ فِي خَابِيَةِ الزَّمَنِ وَنَسْتَنْبِتُ قَاتاً آخَرَ، ـ

صَنعَاءُ / « الإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ يُوجَدُ لاَمِنْ حَيْثُ يُولَدُ »
عَدَنٌ / « الإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ يَثْبُتُ لاَ مِنْ حَيْثُ ينْبُتُ »
صَنعَاءُ / الجَسَدُ ثَقَافَةُ اللُّغَة وَالحَيَاةُ أَنْ تُعَاشر المَوْت
عَدَنٌ / « لِمَاذَا » هِي البَدَاهَةُ « كَيْفَ » هِي المُشْكِلَةُ
صَنعَاءُ / أُضَلِّلُكِ وَأَنَا الهَادِي
عَدَنٌ / هَلْ أشتم الفَلَك ؟
صَنعَاءُ / «الصَّدَاقَةُ رَضَاعٌ ثَانٍ»
عَدَنٌ / لاَ سُلْطَانَ كُلّ إِنْسَانٍ سُلْطَان
مَوْتٌ أَنْ تَحْيَا بِأَفْكَارٍ مَاتَتْ الأَفْكَارُ كُلُّهَا لِكَيْ تَمُوتَ مِنْ أَجْلِكَ

وَأَنْتَ أَيُّهَا الطُّوفَان يَاصَدِيقِي تَقَدَّمْ

7

الأُفُق جَائِعٌ وَأَنَا فِي خَلِيجِ عَدَنٍ أَخْبزُ عَرَقِي
أَشْجَـارُ المَرَيْمرةِ تَئِنّ وَتَكَـادُ أَنْ تُجَنَّ وَكَيْفَ تقـدر أَنْ
تَتَجَنَّبَ الفُؤُوسَ التِي تَخْرُجُ مِنْ نَعِيق الغُرْبَانِ ؟

أُسْنِدُ جِسْمِي عَلَى الغُرُوبِ أُوَحِّدُ بَيْنَ مَشَاعِرِي وَلَعِبِ المَوْجِ أَقُولُ
لِلرَّمْلِ الـذِي يَشْرَبُ المِلْح وَلاَ يَرْتَوِي : مِنْ أَيْنَ لَـكَ، أَيّهَـا الضَّـامِرُ، هَـذِهِ
المعِدة ؟
يَـا صَـدْرِي، يَـاصَـدْراً بـالآفِ الطَّبَقَـاتِ ـ اكتَنِـزْ بِهَـذَا النّسِيم الـذِي يَهُبّ
فِي أَحْضَانِ الخَلِيجِ العَدَنِيّ لَوِّحْ لِتِلْكَ المرَاكِب غَيْر المَرْئِيّـة التِي
تَعْمُرُ أُفـق المَـاءِ وَأَوْسِـعْ فِي أَنْحَـائِـكَ المَرافِئَ أَصْـغِ لِشَمْس عَـدَنٍ
تُوَشْوِشُ الخَلِيج وَهي تَغْتَسِلُ بِرُطُوبَةِ المَسَـاء وانظُرْ لِهَـذَا النَّوْرَس
كَيْفَ يَحْمِلُ عَلَى كَتِفَيْهِ عِبْءَ الشَّوَاطِئ

حَقّاً، لِكَيْ تَدْخُلَ فِي إِيقَاعِ اليَمَنِ،
يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ يُغَنِّي البُكَاءُ الضَّحِكَ، وكَيْفَ يَنَامُ القَمَرُ والشَّمْسُ عَلَى مِخَدَّةٍ وَاحِدَةٍ،
يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ تَكُونُ فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا النَّهَارَ وَاللَّيْلَ،
وَكَيْفَ يَتَحَوَّلُ الغُبَارُ فِي خُطوَاتِكَ إِلَى صِيَّادٍ لِلْوَقْتِ،
يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ يُكْسَرُ الحَجَرُ كَمَا يُكْسَرُ الجوز.

... / أَرْضٌ تَكْتُبُ أَعَاجِيبَهَا بِحِبْرِ المَادَّة البَحْرُ فِيهَا يَخْرُجُ مِنَ الصُّدُورِ وَالأَيْدِي النُّجُومُ تَطْلُعُ مِنَ البُيُوتِ
شَمْعاً،
مَا الَّذِي يَقُولُهُ هَذَا الحِزَامُ الفِضِّي لِخِصْرِ هَذِهِ المَرْأَة ؟
مَا هَذِهِ الشَّمْسُ التِي تَنْزَلِقُ خِفْيَةً فِي مُلاَءَةِ هَذِهِ المَرْأَة ؟
مَا هَذِهِ الأَصْوَاتُ التِي تَتَحَوَّلُ إِلَى قُبَلٍ تَرْتَسِمُ هَالاَتٍ حَوْلَ جَسَدِ هَذِهِ المَرْأَة ؟
كَلاَّ، لَمْ يَصِلْ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ النَّهَارِ الذِي يَعْرِفُ وَحْدَهُ كَيْفَ يَلْبِسُ لَيْلَ هَذِهِ المَرْأَة.

نَفْهَمُ الآنَ كَيْفَ تَسْتَنِدُ امرَأَةٌ يَمَانِيةٌ إِلَى دُمُوعِهَا فِيمَا تَمْسَحُ الغُبَارَ عَنْ وَجْهِ الأُفُقِ وَكَيْفَ تلقِي التَّارِيخَ عَلَى كَتِفِيهَا كَمِنْدِيلٍ أَخْضَر

نَعْرِفُ الآنَ كَيْفَ تُزَفُّ عَرَائِسُ البَحْرِ إِلَى رؤوسِ الجِبَالِ نَعْرِفُ اللَّقَاحَ الذِي يُوَحِّدُ وَيُعَدِّدُ نَعْرِفُ كَيْفَ يَعْمَلُ الجَبَلُ لِكَيْ يُصْبِحَ سَمَاءً وَكَيْفَ تَعْمَلُ السَّمَاءُ لِكَيْ تُصْبِحَ شَجَرَةً نَقدر الآنَ أَنْ نُسَمِّي الذَّاكِرَةَ سَفِينَةً وَأَنْ نَقُولَ اللَّيْلُ نَبْعٌ وَالنَّهَارُ إِبْرِيقٌ وَنَزْعَم أَنَّ التَّارِيخَ كَثِيراً مَا يَأْخُذ هَيْئَةَ شَاعِرٍ ضَيْفٍ يَأْسِرُهُ الغِنَاء اليَمَانِيّ

إِنَّهَا المَادَّةُ نَفْسُهَا تُطْلِقُ أَفْرَاس المُخَيِّلَةِ فِي الْجِهَات الخَفِيَّة مِنْ كَوْكَبِ الحَيَاةِ أَسْمَعُ أَجْرَاساً تَتَدَلَّى مِنْ أَعْنَاقِ الأَشْيَاء أَكْتَشِفُ الأَسْمَاءَ المَرْقُومَةَ فِي كِتَاب المَجَرَّةِ أَرَى الفَضَاءَ عَتَبَةً لِرَأْسٍ يَبْحَثُ عَنْ وِسَادَةٍ فِي مَجْهُولٍ مَا، وَلَسْتُ أَتَحَدَّثُ عَنِ الغَيْبِ أَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا الكَوْنِ الصَّغِير ـ الإِنْسَانِ وَعَنْ شَهْوَتِه لِكَيْ يَحْتَضِن الكَوْنَ الكَبِيرَ وَيَلبس اللاَّنِهَايَةَ

إذَنْ مِنْ إشْعَاعِ البَشَرِ وَمِنْ مَرَاكِبِ الظنِّ آخُذ هَذِهِ الحِكْمَةَ : لَيْسَ الإنْسَانُ
هُوَ الَّذِي يَنُوءُ بَلْ الطَّرِيقُ وَسَوْفَ نَتَلأْلأُ فِي هَذَا
الكُسُوفِ العَرَبِيِّ نَفْتَتِحُ طَرِيقاً آخَرَ وَنُطْلِعُ شَمْسَنَا
الثَّانِيةَ

اللَّحَظَاتُ تَزْدَهِرُ ضِدَّ الصَّحْرَاءِ وَالأَشْيَاءُ انفِجَارٌ ضَوْئِيّ.

الجَسَدُ أَكْبَرُ مِنْ مَكَانِهِ وَالعَيْنُ أَوْسَعُ مِنْ فَضَائِهَا، ـ

نصْغِي لِكَيْ تَقُولَنَا مَوْجَةٌ أَوْ يبثَّنا السّحَرُ نَدّى
فَوْقَ مُخْمَلِ الأَرْض أَو يَحْمِلَنَا الصَّبَاحُ مَاءً
وَخُبْزاً وَمَنْ يَسْأَل الوَرْدَةَ مَاذَا يَقُولُ
عِطْرُكِ أَيَّتُهَا الشَّاعِرَة ؟ هَكَذَا لَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ :
مَاذَا تَقُولُ أَيُّهَا الشَّاعِرُ ؟

وَبَيْنَ العَرَبِيِّ الذِي يَلْتَهِمُهُ الغَرْبُ وَالعَرَبِيِّ الَّذِي يَلْتَهِمُهُ العَرَب سَيَكُونُ
مَكَانٌ لِتَارِيخٍ آخَر، ـ

انْظُرُوا إنَّهَا السُّهُولُ تَتَدَثَّرُ بِغُبَارِ الطّلع
إنَّهَا البَرَاعِمُ تَدْخُلُ فِي أَعْرَاسِ اللِّقَاحِ

« بَلَى، لاَ تَزَالُ هُنَاكَ جَنَّات » (مُونْتِيرلان)

... أَنْغَمِسُ فِي نَوَايَاي وَأُهيِّئُ حُروبِي، -

مُنْحَـدَرُ التَّـارِيـخ يَنْعَكِسُ أعْطِي نَشْـوَةَ الحُلْمِ لِبَصِيرَةِ العَمَـلِ أغْتَرِبُ لأَعْرِفَ نَفْسِي أهجِّن الأَصَـالَـة (أَنْ تبـدعَ هُـوَ أَنْ تهجِّن) وأَسْـأل مَنْ قَـالَ العَيْنُ هِيَ وَحْدَهَا البَصَرُ ؟ مَنْ قَالَ اللِّسَـانُ هُوَ وَحْـدَهُ الكَلاَمُ ؟ مَنْ قَـالَ اليَدُ لاَ تُفَكِّرُ ؟

وأَقُولُ الجَسَدُ إمْلاَئِي وَشَرْعِيَ التّحَوُّلاَت، -

افْتَحِي صَدْرَكِ يَامَلِيكَتِي..

... إذَنْ فِي انْفِجَار التحَوُّل تَبْدُو الحَيَاةُ اسْتِعَارَةً وَالْحَقِيقَةُ مجَازاً

إذَنْ أَشَبِّه غُمْدَانَ بِالنَّهَار وَبلقيس بِاللَّيْل وَأَنَا بَيْنَهُمَا الهَدِيلْ.

بيروت، 10 آذار 1983

فـهـرس

شهوة تتقدم في خرائط المادة 7
المـهـد 49

دار توبقال للنشر

بمستواها العربي

تختارُ لك كتباً أنت بحاجةٍ إليها

صدر

□ **سلسلة : نصوص أدبية**

- ● محمد بنيس
- ○ مواسم الشرق (شعر)
- ● شوقي عبد الأمير
- ○ حديث النهر (شعر)
- ● سيف الرحبي
- ○ رأس المسافر (شعر)
- ● عبد الكبير الخطيبي
- ○ المناضل الطبقي على الطريقة التاوية (شعر)
- ● محمود درويش
- ○ وردٌ أقلُّ (شعر)
- ● محمد الخمار الكَنوني
- ○ رماد هسبريس (شعر)
- ● إدمون عمران المليح
- ○ آيلان (رواية)
- ● الطاهر بن جلون
- ○ ليلة القدر
- ● محمد الشركَي
- ○ العشاء السُّفلي
- ● خورخي لويس بورخيس
- ○ المرايا والمتاهات

توزيع سوشبريس

أَيْنَ سَأَحْفظُ أَعْيَادِي التِي لَمْ تَمُتْ بَعْد ؟
كَيْفَ أُحَرِّرُ أَجْنِحَتِي التِي تَنْتَحِبُ فِي
أَقْفَاصِ اللُّغَةِ ؟ وَكَيْفَ أَسْكُنُ
فِي ذَاكِرَتِي، وَهَا هِيَ خَلِيجٌ مِنَ
الأَنْقَاضِ العَائِمَه ؟

هَلْ سَيَنْمُو بَيْنَ كَتِفيَّ حَجَرٌ أَوْ جِذْرُ خَشْخَاشٍ ؟ هَلِ الحَيَوَانَاتُ السَّجِينَةُ فِيَّ، سَتَعْرِفُ أَخِيراً طَرِيقَ الْهُرُوب ؟ هَلْ عَلَيّ أَنْ أَدْخُلَ فِي سُبَاتٍ وَأَنْ أَخُونَ أَعْضَائِي ؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَصْنَعَ مِنَ الرَّمْلِ سُدادَاتٍ لِرِئَتَيَّ، وَأَنْ أَسْتَلْقِيَ حَجَراً أَسْوَدَ فِي أَبَدِيَّةِ الطَّاعَةِ ؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَدْهن جَسَدِي بِزَيْتِ الآلَة، وأَنْ أَمْلأَ حُنْجُرَتِي بِنَعَمْ نَعَمْ، لاَ لاَ ؟

كلاَّ، لَيْسَ لِي وَطَنٌ
إلاَّ فِي هَذِهِ الغُيُوم التِي تَتَبَخَّر مِنْ بُحَيْرَاتِ الشِّعْر.

مكتبة الأدب المغربي

الموزع الوحيد في المملكة المغربية
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
(سوشيريس) - الدار البيضاء

20 درهماً